

تطور روح الشعب الفلسطيني عبر العصور

The Development the Ethos of the Palestinian people through the ages

الدكتور/ أسامة محمد أبو نحل

أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الأزهر – غزة - فلسطين

٠٠٩٧٠٥٩٩٦٠٣٩٦٤

Email: osamabunahel@hotmail.com

٢٠٢٠ م

الملخص

إنَّ هذه الدراسة تبحث في أصل ونشوء وتطور الروح الفلسطينية بدايةً من التاريخ القديم وحتى يومنا هذا، وذلك كتخصص أكاديمي في منطقة الشرق الأدنى (الشرق الأوسط حاليًا)، ومكانتها في العلوم الإنسانية.

وتلقت هذه الدراسة الانتباه، وتركز على دور الروح الفلسطينية في إسهامها الحضاري لمنطقة الشرق الأدنى وفي مجمل أنحاء العالم. فقد لاحظنا كيف أنَّ فلسطين أثَّرت وأسهمت في التطور الحضاري العالمي، من خلال تمكّن الفلسطينيين القدماء (الكنعانيون) باختراع وابتكار الحروف الأبجدية التي أخذتها عنهم معظم شعوب العالم القديم، بعد أن كان العالم أجمع يجهل الكتابة التي تعتمد على مخارج الأصوات؛ لذا فإنَّ العالم اليوم يدين للفلسطينيين بذلك الابتكار. كما لاحظنا أنَّ فلسطين أيضًا تأثَّرت واقتبست الكثير من المعالم الحضارية للشعوب الأخرى التي احتلتها عبر التاريخ، سواء من جانب المصريين القدماء أو الفرس تحديدًا.

ومن هنا؛ كان للروح الفلسطينية طبيعة خاصة عبر التاريخ، أدت إلى صهر جزء مهم من الشعوب التي احتلت فلسطين في البوتقة الفلسطينية فباتوا فلسطينيين لحمًا ودمًا.

الكلمات المفتاحية: الروح الفلسطينية، فلسطين، الأبجدية، قصيدة موطني، الفولكلور.

Abstract

This study examines the origin and development of the Palestinian ethos from ancient history to the present day, as an academic specialization in the Near East (Middle East currently) and its place in the humanities.

This study draws attention and focuses on the role of the Palestinian ethos in its cultural contribution to the Near East and throughout the world. We have noticed how Palestine influenced and contributed to the development of global civilization by enabling the ancient Palestinians (Canaanites) to invent the alphabets that most of the peoples of the ancient world took from them, when the whole world was ignorant of the writing that depended on the exits of the voices. We have also noticed that Palestine has also been influenced by and derived many of the cultural features of the other peoples that it has occupied throughout history, whether by the ancient Egyptians or the Persians in particular. Hence, the Palestinian ethos had a special nature throughout history, which led to the melting of an important part of the peoples that occupied Palestine in the Palestinian crucible, and they became completely Palestinian.

Keywords: Palestinian ethos, Palestine, alphabet, Mawtini's poem, folklore.

المقدمة

إنَّ مُعدَّ هذه الدراسة يأخذ على عاتقه منذ عام ١٩٩٦، تدريس طلابه وبعض النُخب الفلسطينية المختلفة تاريخ وثقافة فلسطين، وهو يطالبهم دومًا بالتالي:

- أن يكونوا على دراية تامة بتاريخ فلسطين عبر العصور.
- أن يكونوا فخورين بتاريخ وثقافة بلدهم التي هي عماد تمسكهم وبقائهم على أرض أجدادهم، ورفض أن يكونوا على الدوام ضحية الروايات التي تتناقض مع تاريخهم وثقافتهم.
- أن يعمدوا إلى مناقشة المجتمعات الأخرى التي ليست على دراية بتاريخهم، وحَقِّهم المتأصل، والمكفول دوليًا، وذلك من خلال سياسة الإقناع المقبول والذي يؤدي إلى تعريف هذه المجتمعات بالأدلة الدامغة على حَقِّهم بالعيش في أرضهم الأصلية (فلسطين).

ومن خلال هذه الدراسة؛ فإنَّ الباحث لا يسعى لدراسة الروح الفلسطينية نظريًا فحسب، ولكنَّه يسعى لترسيخها وتطبيقها عمليًا عبر المراحل التاريخية المتعاقبة، كضرورةٍ لازمةٍ لإحقاق حقوق الشعب الفلسطيني تاريخيًا وسياسيًا وثقافيًا؛ ولذلك تهدف هذه المقدمة إلى ما يلي:

- الاعتراف بالجوهر التعبيري للخطاب المنطوق أو المكتوب "للروح الفلسطينية" بطرقٍ مصمَّمة، لتؤكد في المقام الأول وظيفة البلاغة الإيضاحية لهذه الروح.
- إعادة استكشاف "الروح الفلسطينية" كأسلوبٍ تاريخي ثقافي من خلال السرد الشخصي، أو الرواية المقتبسة من المقابلات الشخصية لأشخاصٍ عاصروا الأحداث.
- تنمية النصوص القديمة أو الروايات الجديدة من خلال دراسة "الروح الفلسطينية" بأسلوبٍ أكاديمي عصري.

ويودُّ الباحث من القارئ الكريم، أن يضع في اعتباره أنَّه كمؤرِّخٍ فلسطيني يقوم بتدريس زملائه وطلابه الفلسطينيين تاريخهم، وذلك ليس من خلال الرواية التي تعرَّضت للتحريف بين الأوساط الأكاديمية الغربية، ولكن من خلال البُعد البطولي للهوية الوطنية الفلسطينية المتجذَّرة. وبالتالي: فإنَّ المستقبل الفلسطيني المأمول هو بحاجة أن يكتسب الماضي البطولي، إذ يجب على الباحث الوعي تنقية التاريخ الفلسطيني شيئًا فشيئًا من السرد الخاطئ الذي لدينا الآن، والمدفوع برواياتٍ إسرائيلية في الغالب، وذلك باستخدام أمثلةٍ معينة كما أوردنا في دراستنا، مثل: كيف منح سكان فلسطين لها اسمها الأول وهو أرض كنعان، والثاني اسم فلسطين، والحذر من الوقوع في براثن المسميات والمصطلحات التي أقحمت على تاريخ وثقافة فلسطين دون سندٍ تاريخي مقبول.

كما وضّحنا أنّ فلسطين كانت محطّ إعجاب الكثيرين ممن زاروها أو سكنوا فيها خصوصاً المصريين، كقصة الأمير المصري سنوحي، كما بيّنا كيف اخترع الكنعانيون الفلسطينيون الحروف الأبجدية، أو ما يُعرف بالحروف الهجائية "الألف بائية" التي أخذتها عنهم الشعوب الأخرى. وبدأت الروح الفلسطينية في أجلي صورها بقبول سكّان فلسطين حضارات الآخرين ممّن يختلفون عنهم في الثقافة، كما ذكرنا أنّه ظهر بين الفلسطينيين شعراء ألهبوا مشاعر الجماهير الفلسطينية ضدّ المحتل البريطاني، منهم على سبيل المثال: الشاعر إبراهيم طوقان (١٩٠٥-١٩٤١)، وأهمها قصيدة (موطني) التي أصبحت النشيد غير الرسمي للشعب الفلسطيني منذ ذلك الحين.

وتتناول الدراسة التي بين أيدينا الروح الفلسطينية، ودورها في خدمة الثقافة والحضارة الإنسانية العالمية. ولأنّ فلسطين كانت محطّ اهتمام القوى الطامعة بها فقد تعرّضت على مدار تاريخها إلى العديد من الغزوات، وبسبب تسلّط القوى الخارجية على مصير فلسطين عبر التاريخ لم تكن الروح الفلسطينية على وتيرة واحدة، فالفلسطينيون تواءموا كثيراً مع هذه المتغيّرات المتلاحقة، وتكيّفوا مع كل شعب أجنبي خضعوا لنفوذه.

إنّ مصطلح "الروح" طبقاً "لقاموس كامبردج Cambridge Dictionary"، هو "مجموعة المعتقدات والأفكار، وغير ذلك عن السلوك الاجتماعي، وعلاقات الشخص أو المجموعة، مثل: الروح الوطنية، وروح الطبقة العاملة" (Cambridge Dictionary). كما أنّ "الروح هي مجموعة الأفكار والمواقف المرتبطة بمجموعة معينة من الناس، أو نوع معين من النشاط. (Definition of ethos, Collins)

والروح كذلك هي الشخصية المميزة، أو المشاعر، أو الطبيعة الأخلاقية، أو المعتقدات الإرشادية لشخص أو مجموعة أو مؤسسة. كما أنّها تعني عُرف، أو عادة، أو صفة باللغة اليونانية. وتمّ استخدامها بواسطة الفيلسوف اليوناني "أرسطو" في الأصل، حيث أشار إلى صفة الرجل أو هويته الذاتية، خاصة في توازنه بين العاطفة والحذر. ويتم استخدام مصطلح "الروح" اليوم للإشارة إلى الممارسات، أو القيم التي تميّز شخص واحد، أو منظمة، أو مجتمع عن الآخرين. (Definition of ethos, Merriam-Webster Net)

وفي تعريف آخر للروح؛ فإنّها وسيلة لإقناع الآخرين بشخصية ما، أو مصداقية الإقناع، ومن الطبيعي لنا أن نقبل مصداقية الأشخاص الذين نحفظ بتوقيعهم. فمن خلال الحُجّة أو البينة، من الأهمية بمكان بالنسبة للمتحدّث أو الكاتب أن يثير إعجاب المستمعين والقراء بالفكرة الجديرة بالاستماع إليها، أو قراءتها. وبعبارة أخرى، تعتمد مصداقية المتحدّث أو الكاتب على قوّته المقنعة في الموضوع الذي يتناوله على مدى إعجابه به، أو اعتبار رأيه جديرًا بالاحترام. (Ethos Definition)

بالتالي: فمن وجهة نظرنا قد لا تشير "الروح" إلى أخلاقيات الموضوع الجاري مناقشته، لأنّ ذلك سيكون مجرد عاطفة إذا لم تكن الأخلاق وثيقة الصلة بالنقاش. ومن ثمّ؛ فإنّ مصطلح "الروح" يشير إلى المؤهلات الأخلاقية للمناظرة المستخدمة، كطريقة للإقناع دون الإشارة إلى أخلاقيات الموضوع المطروح، وهو المطالبة بقوة الإقناع، وبمعنى آخر يمكن القول: إنّ "الروح" هي "أمعاء المخ".

أهمية الدراسة

تكمن أهمية الدراسة من خلال قيمة الروح الفلسطينية؛ فالفلسطينيون كانوا على مدار التاريخ شعب مسالم أثر بحضارته على القوى التي استولت على بلاده، كما وتأثروا بثقافات تلك القوى فأخذوا منها العديد من مظاهر الحضارة. كما أن هذه الدراسة سوف ترفد المكتبات الفلسطينية والعربية والدولية بدراسة، هي الأولى من نوعها -حسب علم الباحث- فيما يخص مسألة "الروح الفلسطينية". ويأمل الباحث في أن يحذو الباحثين في الحقل التاريخي حذوه، لتقصي الحقائق المجهولة عن هذه الروح التي لا يوجد لها مثيلاً بين روح الشعوب الأخرى.

مشكلة الدراسة

لقد كتب الكثيرون عن تاريخ فلسطين لكن لم يتناول أحد "الروح الفلسطينية" وأهميتها من خلال هذا التاريخ. لذلك؛ ارتأينا ضرورة الكتابة عن هذه الروح لما فيها من قيمة ثقافية إنسانية للشعب الفلسطيني، أو للقوى التي احتكت به عبر العصور.

وتتمحور مشكلة الدراسة حول سؤال رئيس مفاده: ما دور الروح الفلسطينية عبر العصور؟

أهداف الدراسة

هدفت الدراسة لتحقيق التالي:

- ١- بيان ماهية الروح الفلسطينية عند الكنعانيين الفلسطينيين، وارتباطها بالمصريين القدماء تحديداً.
- ٢- التعرف على أثر وتأثير الروح الفلسطينية زمن الاحتلال الأجنبي لفلسطين.
- ٣- تحديد دور الروح الفلسطينية في دعوة السيد المسيح الفلسطيني.
- ٤- التعرف على تأثير الحكم الإسلامي على الروح الفلسطينية.
- ٥- بيان دور الروح الفلسطينية في مجابهة الاحتلال الإنكليزي لفلسطين.
- ٦- بيان دور الروح الفلسطينية في مجابهة الاحتلال الإسرائيلي لفلسطين.
- ٧- التعرف على أهمية الروح الفلسطينية من خلال الرواية الشفوية في الدراسات التاريخية المعاصرة لتاريخ فلسطين.
- ٨- ذكر أهم الإنجازات الفلسطينية المعاصرة، وتأثيرها على الروح الفلسطينية.

منهجية الدراسة

اعتمدت الدراسة على منهجين رئيسيين، هما:

-**المنهج التاريخي**، الذي نتمكّن من خلاله الحصول على المعلومات الأولية لموضوع الدراسة.

-والمنهج الوصفي التحليلي، وذلك لتفسير تلك المعلومات الخاصة بالروح الفلسطينية وتحليلها، وبيان أهميتها وقيمتها العلمية.

تمهيد

تعتبر فلسطين من أقدم الكيانات الاجتماعية والسياسية التي نشأت في التاريخ، وكان لها دورٌ بارزٌ في حضارات الشرق الأدنى القديم؛ بل إن بعض مدنها تُعد من أقدم مدن العالم مثل مدينتي: أريحا التي نشأت منذ ٧٠٠٠ سنة، وتعتبر أول مدينة بناها الإنسان في العالم، والقدس التي ابتناها الكنعانيون الفلسطينيون في الألف الثالث قبل الميلاد. ونظرًا لأهمية فلسطين وموقعها الجيوستراتيجي تعرّض تاريخها للتشويه والتزوير على أيدي الباحثين، وذلك خضوعًا لدوافعهم الدينية أو السياسية. (سوسة، ١٩٧٣)

ولأنّ فلسطين كانت محطّ اهتمام القوى المجاورة لها أو الأجنبية فقد تعرّضت على مدار تاريخها الطويل إلى العديد من الغزوات، فاستولى عليها: المصريون القدماء، والحيثيون، وبني إسرائيل، والآشوريون، والبابليون، والفرس، والإغريق، والرومان (أبو نحل؛ مخيمر، ٢٠١٦). كما خضعت للحكم الإسلامي، واعتنق سكّانها الإسلام كديانة رسمية، مع احتفاظ بقية سكّانها من المسيحيين واليهود بمعاملة حسنة طيلة هذا التاريخ من الحكّام السياسيين، أو من الفلسطينيين الذين اعتنقوا الإسلام على حدّ سواء. فعلى سبيل المثال: نجد أنّ حاكم فلسطين في العهد العثماني الشيخ ظاهر العمر قد اتخذ من الطبيب المسيحي إبراهيم الصبّاغ مستشارًا له، وكان كثير الاستماع لنصائحه. وكذلك أحمد باشا الجزار الوالي العثماني في ولاية صيدا ومدينة عكا، الذي اتخذ من اليهودي حاييم فارحي مستشارًا ماليًا له. (الكردي، ١٩٧٢)

وبسبب تسلّط القوى الخارجية على مصير فلسطين عبر التاريخ لم تكن الروح الفلسطينية على وتيرة واحدة طوال هذه الفترة الزمنية، فالفلسطينيون تواءموا كثيرًا مع هذه المتغيّرات المتلاحقة، وتكيّفوا مع كل شعبٍ أجنبي خضعوا لنفوذه، فنجدهم قد اختلطوا بالمصريين القدماء، وأخذوا الكثير من عاداتهم ولغتهم خصوصًا في المناطق الجنوبية من فلسطين. فعلى سبيل المثال هنالك الكثير من الكلمات المصرية التي شاعت بين الفلسطينيين -ولا زالوا- يستخدمونها حتى يومنا هذا مثل: (ياما) بمعنى كثير، (شوب) بمعنى حار، (فوطه) بمعنى المنشفة، (ست) بمعنى السيدة، و(سي) بمعنى الرجل. (الدباغ، ١٩٦٥)

من هنا؛ فإنّ الفلسطينيين على مدار تاريخهم الطويل تأثروا وأنثروا في الشعوب التي غلبتهم واستولت على بلادهم، ولأنّ الفلسطينيين كانوا خليطًا من أقوامٍ عدّة نتيجة استقرار أفرادًا من الغزاة فيها ولم يكونوا من القوة بمكان. فقد كان من السهل على من احتلّهم فترة طويلة من الزمن أن يؤثّر فيهم، ما جعلهم يحاكونهم في كثيرٍ من المسائل؛ كاللغة والدين والثقافة والعادات والتقاليد.

ومع ذلك؛ فإنّ الروح الفلسطينية لم تكن منبئة الصلة عن الثقافة العامة الفلسطينية التي بقيت تتوارث من جيلٍ إلى آخر، تحمل في جنباتها الجينات الأصيلة التي بقيت ملازمة للفلسطينيين، ما أهّلهم للبقاء والاستمرار حتى يومنا هذا.

الروح الفلسطينية عبر التاريخ

تقع فلسطين في الجزء الجنوبي الغربي من قارة آسيا من المنطقة الواقعة شرق البحر المتوسط، وتربط بين قارتي آسيا وأفريقيا، كما تربط بين البحر المتوسط والبحر الأحمر، ومن ثم بين المحيط الأطلسي والمحيط الهندي (فلسطين: نت). وتبلغ مساحتها نحو ٢٧ ألف كيلو متر مربع. وقدر جهاز الإحصاء الفلسطيني عدد الفلسطينيين في نهاية عام ٢٠١٨ بنحو ١٣,٠٥ مليون، منهم ٤,٩١ مليون في الضفة الغربية وقطاع غزة والقدس، ١,٥٧ مليون في الأراضي الفلسطينية المحتلة عام ١٩٤٨، وحوالي ٥,٨٥ مليون في الدول العربية، و٧١٧,٠٠٠ في الدول الأجنبية (الإحصاء، ٢٠١٨/١٢/٣١). وتشكل معظم فلسطين من أغلبية مسلمة، وأقلية مسيحية (حوالي ٩%) بالقدس ورام الله وبيت لحم وغزة أغلبهم ينتمون إلى الكنيسة الأرثوذكسية، بالإضافة إلى اليهود السامريين والدروز. ويعيش أكثر من نصفهم كلاجئين خارج حدود فلسطين الانتدابية، بينما يعيش الجزء الباقي داخل الحدود الفلسطينية، ولكن ليس بالضرورة في مدنها الأصلية، حيث تشكل نسبة كبيرة منهم لاجئين في وطنهم. (تقرير إحصائي، ٢٠١٣/١٢/٣١)

ويحدّ فلسطين من الشمال لبنان وجزء من سوريا، ومن الشمال الشرقي سوريا، ومن الشرق الأردن، ومن الجنوب الغربي مصر، ومن الغرب البحر المتوسط (الحدود السياسية: نت). ومما أكسب فلسطين أهميتها كونها الأرض المقدسة للشرائع السماوية الثلاثة بعد انتشار ظاهرة التوحيد، كما أنّها تقع على طريق الاتصال الرئيسي بين الشرق والغرب (محمد، ١٩٨٩). وقد أسهمت فلسطين بقسط لا بأس به في الميدان الحضاري لتاريخ الشرق الأدنى القديم، وذلك بفضل الحضارة الكنعانية. (علي، ب. ت)

ونستطيع القول: إنّه ما كان لموقع فلسطين من تميّز وهبته إياه الطبيعة، لولا وجود شعبٍ مميزٍ استطاع خلال مسيرته التاريخية استغلال وتطويع هذا الموقع لخلق ثقافة فريدة اقترنت به، وتمكّن من خلال هذا الموقع التجانس مع الشعوب التي طمعت في بلاده، فحدث التلاقح الحضاري بين الحضارة الكنعانية الفلسطينية مع الحضارات الوافدة إلى فلسطين، لتشكل حضارة راقية اقترنت بها الشعب الفلسطيني.

أمّا لماذا كانت فلسطين البوابة بين الشرق والغرب؟ فأولاً: إنّ موقع فلسطين الجيوستراتيجي الرابط بين قارات العالم القديمة آسيا وأفريقيا وأوروبا، جعل منها بوابة إجبارية لأيّ قوة حربية تريد غزو الشرق أو الغرب على حد سواء. فالمصريين إذا ما أردوا الاستيلاء على سوريا لا بدّ لهم من العبور عبر البوابة الفلسطينية، والعراقيين والأوروبيين إذا ما أرادوا غزو مصر فلا مناص أمامهم من العبور إليها إلّا من خلال البوابة الفلسطينية أيضاً.

وثانياً: إنّ إطلالة فلسطين على البحر المتوسط من الغرب والبحر الأحمر من الجنوب، جعلت لها قيمة تجارية كبيرة، حيث تقع فلسطين على طريق التجارة الرئيسي سواء في التاريخ القديم أو الحديث والمعاصر، وخصوصاً في فترتي التاريخ الوسيط، أو خلال سيطرة السلطنة العثمانية على فلسطين.

وثالثاً: الأهمية الدينية لفلسطين عبر العصور؛ فلسطين تعتبر مهد الشرائع السماوية الثلاث؛ لذلك كان الصراع عليها بين أتباع هذه الشرائع، ويأتي في هذا السياق استيلاء المسلمين عليها بعد وفاة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، ثم فيما بعد الحملات الصليبية التي شنتها أوروبا على فلسطين خلال التاريخ الوسيط، ثم استيلاء العصابات الصهيونية عليها في التاريخ المعاصر، وتأسيسهم لدولة (إسرائيل).

أولاً: الروح الفلسطينية عند الكنعانيين الفلسطينيين وارتباطهم بالمصريين القدماء

من المعروف أنَّ الروح الفلسطينية بدأت رسمياً مع بدايات التواجد الكنعاني في فلسطين، إذ أعطوا اسمهم للبلاد فصارت تُسمى "بلاد كنعان" نسبةً إليهم. ويُعتبر الكنعانيون ذو الأصول العربية والوافدين من الجزيرة العربية من أقدم الشعوب التي سكنت فلسطين. ومن المعروف أنَّ إقامة الكنعانيين في فلسطين تمَّ قبل عام ٢٥٠٠ ق.م بفترة ليست بالقليلة (الدباغ، ١٩٦٥). وقد عاشوا فيها مدة تزيد عن ألفي سنة قبل ظهور الجماعة التي تُنسب إلى موسى عليه السلام في مصر، وسُميت "بقوم موسى"، أو "بني إسرائيل". (سوسة، ١٩٧٣)

عُرفت بلاد كنعان بما في ذلك فلسطين وفينيقيًا حسب العهد القديم في التاريخ القديم حتى عام ١٢٠٠ ق.م بـ "أرض كنعان" (Moscati, 1960)، واعترف العهد القديم بتلك التسمية في سفر التكوين (*)، عندما أطلق على سكّانها اسم الكنعانيين، ثمَّ عاد العهد القديم وأطلق في الإصحاح الثالث والعشرين في سفر التكوين على أرض كنعان اسم "أرض فلسطين" (**). بعدما استولت قبائل تُدعى "البليست" على الجزء الغربي من البلاد، وهي قبائل استوطنت فلسطين. وبذلك، اعترف العهد القديم بأنَّ الكنعانيين أولاً والفلسطينيين ثانياً هما سكّان فلسطين الأصليين، وأنَّهما الجنسان اللذان تواجدا في فلسطين منذ أقدم عصور التاريخ. وبلاد كنعان طبقاً للعهد القديم، تمتد من مدينة أوغاريت في شمال سوريا حتى مدينة غزة في جنوب فلسطين. (حكيم، ١٩٧٠)

وعليه: تمكّن الكنعانيون الفلسطينيون من صبغ فلسطين بلونهم السياسي والحضاري، وفرضه على الأقوام الأخرى التي تواجدت فيها؛ ومن ثمَّ فهم أول من أوجدوا روحاً مادية وثقافية لفلسطين، حيث تمكّنوا من خلالها التأثير على مجريات الأمور. وما كان لهم النجاح في مهمتهم لولا القدرة المادية والثقافية التي حبتهم بها الطبيعة، وقدرتهم على مجازاة جغرافية المكان الصعبة والمعقّدة التي تواجدوا فيها.

إنَّ وجود الكنعانيين الفلسطينيين بين فكي كماشة أعظم قوتين وقتذاك في منطقة الشرق الأدنى (العراق من الشرق، ومصر من الغرب)، وتواجدتهم في منطقة جغرافية تربط قارتي آسيا وأفريقيا، جعل من بلادهم ممراً إجبارياً لكافة القوى. فالقوى العراقية من آشورية وبابلية كانت تطمح إلى أن يكون لها موطئ قدم على سواحل البحر المتوسط،

(*) ورد في سفر التكوين ٢٣/١-٢ ما نصه: "وكانت حياة سارة مائة وسبعاً وعشرين سنة سني حياة سارة، وماتت سارة في قرية أربع التي هي حبرون في أرض كنعان". وورد في نفس السفر أيضاً: "وبعد ذلك دفن إبراهيم سارة امرأته في مغارة حقل المكفيلة أمام ممرا التي هي حبرون في أرض كنعان".

(**) وورد في سفر التكوين ٢٣/١٩ ما نصه: "وتغرّب إبراهيم في أرض الفلسطينيين أياماً كثيرة".

نظراً لضيق الحيز البحري للعراق الذي يطل منه على الخليج الفارسي (الخليج العربي فيما بعد)، ناهيك عن رغبة القوى العراقية في الاستيلاء على مصر التي كانت تنافسها على زعامة الشرق الأدنى وقتذاك. أما مصر فقد كانت دوماً تحرص على إخضاع فلسطين لسلطانها المباشرة، وذلك لكي تحافظ على أمنها القومي المتمثل في منطقتي الدلتا ووادي النيل. ولأن مصر على يقين بأن نقطة ضعفها تتمثل بشبه جزيرة سيناء ذات المساحة الشاسعة، وخصارتها الرخوة والتي لا تتواجد بها قوى أمنية مصرية كافية؛ لذلك كان لا بد لها من إبقاء فلسطين تحت سيطرتها. من هنا؛ ولعدم امتلاك الكنعانيين الفلسطينيين لأية مقومات سياسية وعسكرية، أو ما يمكن أن نطلق عليه اسم "القوة الصلبة" كان لا بد لهم من الرضوخ للحكم الأجنبي، ليحافظوا على بلادهم من الدمار إن حاولوا استخدام أساليب عسكرية متواضعة ليست متواجدة لديهم أصلاً.

ومع ذلك، نجح الكنعانيون الفلسطينيون في خلق ثقافة وحضارة متميزة قدر الإمكان، وإن لم ترق إلى عظم حضارة الشعوب المجاورة؛ كالآشوريين والبابليين والمصريين. فنجدهم قد اهتموا بإنشاء المدن التي كانت أزقتها ضيقة ومعوجة، وكان بعضها مسقوفاً أو معقوداً، وكان أصحاب المهنة الواحدة يقيمون في حي خاص بهم يُسمى باسم مهنتهم، ومدن الكنعانيين صغيرة قد لا تزيد مساحة أكبرها عن ٧٠ دونماً (*) (الدباغ، ١٩٦٥). وهذا إن دلّ فإنما يدل على أن الكنعانيين كانوا على دراية بالتخطيط العمراني للمدن، إضافة إلى علم الهندسة. ومن أشهر المدن التي قام الكنعانيون ببنائها: القدس، نابلس (شكيم)، يافا، عكا، عسقلان، ومجدو.

- قصة سنوحي المصري

يبدو أن فلسطين كانت محط إعجاب الكثيرين ممن زاروها أو سكنوا فيها خصوصاً المصريين، كقصة الأمير المصري سنوحي (**) المعروفة في التاريخ التي احتوت على صور قيّمة عن الحياة في فلسطين وسوريا، كما كانت تبدو في نظر المصريين الذين كانوا أوفر حظاً من الحضارة (Moscatti, 1960). وسنوحي هذا أمير مصري مهاجر وصف فلسطين التي كانت آنذاك بلدًا مزدهراً حوالي عام ٢٠٠٠ ق.م، فقال: "إنّ فيها تيناً وعنباً، وإنّ خمرها أغزر من الماء، وعسلها كثير، وزيتونها وفير، وكل ما تشتهي من أنواع الفواكه تجود به الأشجار" (جارودي، ١٩٨٦). وألقت هذه القصة الضوء على العلاقات الدولية بين مصر وجيرانها من الدول الأخرى فقد صوّرت لنا جانباً من علاقات مصر بمناطق الشام (سوريا) في عهدي الفرعونين: أمنمحات الأول، وسنوسرت الأول، كما نفهم من القصة كذلك -أنّ اللغة المصرية القديمة كانت معروفة لبعض سكّان الشام، كما توضّح لنا أنّ جالية من المصريين كانت تعيش في بلاد الشام للتجارة أو خلاف ذلك، وتؤكد القصة أنّ حاكم المنطقة التي استقر فيها سنوحي في فلسطين قد عامله معاملة جيدة، وقدم له كل سبل الراحة (رفاعي: نت)، وتدل هذه القصة على طبيعة العلاقات السلمية التي سادت بين مصر وفلسطين في عهد الكنعانيين الفلسطينيين.

(*) كل ١٠ دونمات تعادل هكتار واحد.

(**) تعني كلمة سنوحي في اللغة المصرية القديمة باسم (ابن الجميز)؛ فهذا الشجر كان مقدساً عند المصريين القدماء.

(الدباغ، ١٩٦٥؛ رفاعي: نت)

وازداد في هذا العهد النشاط الدبلوماسي، فكُثِر مبعوثو الفراعنة ورسلمهم إلى فلسطين وما وراءها. وقد عُثِر على الوثائق الدالة على ذلك في تل العمارنة ومدينة ماري، وأشارت قصة سنوحي إلى اهتمام الأمراء الفلسطينيين بمراسلة فراعنة مصر، وأنَّ الفرعون استقبل الفلسطينيين في قصره، وكان من عادته أن يُرسل إليهم هدايا ثمينة (الفراعنة، نت). وبالتالي: فإنَّ قصة سنوحي أمدتنا بمعلوماتٍ مهمة عن العلاقات المصرية الفلسطينية في عهده، وما تميَّز به هذا العهد من سلامٍ ورخاء عمِّ فلسطين، وكيف كان للأمراء الفلسطينيين من قيمة أمنية لمصر في حماية أمنها القومي من الأخطار، بدليل أنَّ الفرعون لم يتوانَ عن استقبال هؤلاء الأمراء في مقر حكمه، وأنَّ يُرسل لهم الهدايا الثمينة لكسب مودتهم.

لقد تجلَّت الروح الفلسطينية خلال السيطرة المصرية على فلسطين بأنَّ الكنعانيين لم يعتبروا المصريين غزاة لبلادهم يجب مقاومتهم؛ بل على العكس من ذلك فقد حدث اختلاطٌ واسع فيما بينهم، وتأثَّروا بهم في المجالات كافة سواء في اللغة أو الدين أو العادات المجتمعية. لذلك؛ فإنَّ العلاقة بين الفلسطينيين والمصريين منذ القدم وحتى يومنا هذا كانت متميَّزة لأسبابٍ كثيرة، منها: رابطة الدم والمصاهرة والتاريخ المشترك، فأكثر ما يميَّز الروح الفلسطينية تجاه مصر تحديدًا علاقة سكَّان جنوب فلسطين بالشعب المصري؛ فمصر تعتبر البوابة والممر الوحيد والإجباري لسكَّان جنوب فلسطين للانتقال إلى الخارج، ثمَّ إنَّ الثقافة المصرية عنصر حيوي للفلسطينيين فمن خلالها نهلوا تعليمهم، وكذلك الأمر، هنالك حالات تزواج كثيرة للفلسطينيين من المصريات نظرًا للتشابه في العادات والتقاليد. كما أنَّ المصريين كشعبٍ مجاور للفلسطينيين تأثَّروا عبر التاريخ بالثقافة الفلسطينية، وتشبَّعوا بكثيرٍ من العادات الفلسطينية الدارجة حتى يومنا هذا، نظرًا للتقارب الكبير بين عادات الشعبين.

إنَّ قَمَّة الروح الفلسطينية المُتلى تمثَّلت بأنَّ الكنعانيين كانوا شعبًا متحضَّرًا ومسالماً إلى أبعد الحدود، من خلال سماحهم للغرباء الإقامة والاستقرار في بلادهم، وأكبر مثال على ذلك عندما سمح ملك مدينة القدس الكنعاني ملكي صادق للنبي إبراهيم عليه السلام الإقامة في بلاد كنعان في نحو عام ١٧٥٠ ق.م؛ بل وأكثر من ذلك ورغم أنَّ الكنعانيين كانوا وثنيين ولا يعرفون عبادة التوحيد، فإنَّهم سمحوا لإبراهيم بنشر دعوة التوحيد في بلادهم بكل حرية. وعندما ترك إبراهيم فلسطين وتوجَّه إلى مصر بعض الوقت ثمَّ عاد إليها مرة أخرى، منحوه كامل الحرية بالاستقرار في مدينة الخليل. وبعد وفاته ساوى الحكَّام الكنعانيين الفلسطينيين ذريته بأبناء البلد الأصليين، وسمحوا لبني إسرائيل من أبناء النبي يعقوب الإقامة فيها حتى غادروها إلى مصر واستقروا فيها نهائياً لمدة ٤٠٠ عام، تاريخ نزول دعوة التوحيد على النبي موسى عليه السلام في مصر في القرن الحادي عشر قبل الميلاد. فالكنعانيون الفلسطينيون إذاً لم يكونوا عنصريين في تعاملهم مع من وفد إلى بلادهم من الغرباء، وكانوا يتَّسمون بالطيبة المفرطة، ودمائة الخلق والمسالمة، طالما هؤلاء الغرباء لا يقومون بأفعالٍ قد تُسهم في تخريب الوضع الأمني للبلاد، وبسبب سياستهم تلك جعلوا الآخرين يطمعون بالسيطرة على بلادهم كما حدث لاحقاً.

- الروح الفلسطينية في اللغة الكنعانية الفلسطينية

في ضوء حديثنا عن الروح الفلسطينية أيضًا فقد كان للكنعانيين الفلسطينيين حضارةً راقية من أشهر معالمها اختراع الحروف الأبجدية، إذ يعود الفضل لهم في اختراع اللغة المكتوبة التي تعتمد على الأصوات التي تخرج من الفم، أو ما يُعرف بالحروف الهجائية "الألف بائية" التي أخذتها عنهم الشعوب الأخرى. وبذلك، تدين الإنسانية لفلسطين وسكانها بالكتابة الهجائية التي أدت في القرن الخامس عشر قبل الميلاد إلى خلق الحركة الهائلة في نشر الثقافة والمعرفة، وذلك بالانتقال من الرموز والصور الهيروغليفية في مصر، والرموز المسمارية في العراق، وهي نُظم للكتابة كانت قاصرة على بعض الناس إلى مجرد تدوين الأصوات في ثمانٍ وعشرين رمزًا صوتيًا؛ فاستطاعت القاعدة الشعبية من فهمها واستيعابها والعمل بها، وكان ذلك بمثابة ثورة من أعمق الثورات الثقافية في التاريخ الحضاري للإنسانية. (Moscatti, 1960)

ثم لاحقًا، انتقلت الحروف الهجائية في الكتابة من الكنعانيين الفلسطينيين إلى الفينيقيين -وهم من صلبهم - الذين قاموا بدورهم بنقلها بين عامي ٨٥٠ و ٧٥٠ ق.م إلى اللغات الإغريقية واللاتينية، ثم نقلها بعدهم الآراميون إلى الشرق الأدنى كله، وهي ما زالت محتفظة باسمها الكنعاني العربي "الألف باء" (ALPHABET) حتى يومنا هذا. (أولبريت، ١٩٨٨)

وهذا إن دلّ، فإنّما يدلّ على أنّ الروح الفلسطينية لم تكن نكرة عن روح الشعوب الأخرى التي عاصرتهم والتي كانت في بعض الأحيان أكثر تقدّمًا من الفلسطينيين؛ بل كانت في بعض الأحيان نداء ذات قيمة ثقافية وحضارية راقية يُشار لها بالبنان. فإذا كان العراقيون والمصريون -وهم أكثر رقيًا من الكنعانيين الفلسطينيين - أقصى ما توصّلوا إليه في مجال اللغة، إيجاد صيغة توافقية من الرموز التصويرية للغاتهم ليعبروا بها عن رغباتهم المعيشية؛ فإنّ الكنعانيين الفلسطينيين جادت قريحتهم باختراع صيغة أكثر تقدّمًا وفهمًا للإنسان، تمثّلت باختراع رموز صوتية تعبّر عما يريد الإنسان إيصاله للآخرين بسهولة ويُسر. ويعتزّ الإنسان الفلسطيني اليوم بأنّ هذا الاختراع المهم الذي توصّل إليه أجداده القدماء من الكنعانيين الفلسطينيين، بات مستخدمًا ومعمولًا به في اللغات العالمية كافة.

إذن؛ كان هدف الكنعانيين الفلسطينيين من اختراع اللغة المكتوبة خدمة البشرية في كيفية تعاملها فيما بينها بسهولة دون صعوبات أو تعقيدات، فأنماط اللغات السابقة لوجود اللغة الكنعانية الفلسطينية لم يكن من السهل على الناطقين بها معرفة مكنوناتها، أو تراكيبها اللغوية. فقد كانوا مثل الأطفال الصغار يصدرون أصواتًا دون فهم ماهية ما ينطقونه، خصوصًا في ظل غياب مؤسسات تعليمية وقتذاك، بينما معرفة أساسيات اللغة كانت قاصرة على فئات من الناس.

- الروح الفلسطينية في الدين الكنعاني الفلسطيني

في مجال الدين وكتعبير عن الحالة الثقافية الفلسطينية، تبلورت الطقوس الدينية ونضجت لدى الكنعانيين الفلسطينيين في بداية الألف الثاني قبل الميلاد.

وكان الإله "إيل" هو الإله العظيم الذي آمنوا بأنه يبعث مياه الأنهار لتجري في الأرض فيحيي مواتها، وهو يبعث المطر فيجعل الأودية تفيض عسلاً، وزوجته تدعى الإلهة "عاشرة". (الحوت، ١٩٩١)

وارتباطاً بمجال الدين عند الكنعانيين الفلسطينيين وبتأصل الروح الفلسطينية فيهم، نجد من عاداتهم وتقاليدهم أنهم لم يؤمنوا باليوم الآخر، وبالحساب والثواب والعقاب. فالموت عندهم كان النهاية الأبدية للحياة، مع اعتقادهم بوجود روح تفارق الجسم عند الموت، وتستمر حياة حياة بطينة النطاق لا حركة فيها ولا متعة؛ لا اعتقادهم أن روح الميت تظل على اتصال وثيق بالجنان الذي فارقت، وأن مصيرها متوقف على المصير الذي يُمنى به جسد الميت؛ ولذلك كان من الأمور ذات الأهمية القصوى أن يُحفظ الجنان من كل ما يمسه، حيث تظل الروح تعيش بين الضفاف أو الظلال طالما أن الجسم سليماً مودعاً في القبر أو منزل الأبدية. ومن ثم، حرصوا على أن يُحفظ الجنان في تابوت، ثم يوضع التابوت في أعماق بئر بعيدة الغور، أو في كهف يتناولون مداخله بالتمويه لكي يضلوا عنه نباشي القبور (الدباغ، ١٩٦٥؛ كوتنتو، ١٩٩٧). هذا في الماضي القديم، أما اليوم فالوضع الديني عند الفلسطينيين مختلف جداً عما كان عليه في الماضي، فالفلسطينيون اليوم يؤمنون بإله واحد هو الله، ويؤمنون بأنه بعد موت الجنس البشري فهناك ثواب وعقاب، وأن مصيره سيكون إما الجنة أو النار.

وكانت القرابين الكنعانية الفلسطينية تضم ضحايا بشرية، إلى جانب قربان الحيوان المألوفة. وتردد القول: إن الكنعانيين الفلسطينيين كانوا يقدمون قربان من الأطفال عند تشييد المباني، وكانت العادة أن يُدفن الأطفال بعد التضحية بهم في جرار المنزل، وفي مدينة أريحا وغيرها من المواقع كانت تُوضع الجرار تحت أرض المنزل (حني، ١٩٥٨؛ De Vaux, 1978). ولا زال الفلسطينيون حتى يومنا هذا، يقومون بدفن الأطفال في جرار فخارية كعادة متوارثة عن أجدادهم الكنعانيين الفلسطينيين، ولحفظ جنان الطفل الميت من التلف السريع بعد دفنه.

- الروح الفلسطينية في الأدب الكنعاني الفلسطيني

في مجال الأدب الذي تظهر من خلاله كذلك الروح الفلسطينية، هنالك عدداً من الملاحم التي عكف على دراستها عشرات من علماء السامية. ومعبودات تلك الملاحم هي الآلهة الكنعانية في فلسطين وفي فينيقيا، والنقوش الفينيقية المتأخرة رغم كونها رسمية احتوت على آثار أدبية عديدة من الأدب الأوغاريتي (أولبريت، ١٩٨٨). وتبرز الروح الفلسطينية هنا بأن التوراة التي دُوت بعد وجود مدينة أوغاريت قد اقتبست العديد من النصوص الدينية منها، مثل: سفر أيوب ومزامير داود.

وقد اقتصر الأدب الكنعاني الفلسطيني على القصائد التي أكتشفت في أوغاريت، إضافة إلى بعض الروايات الفينيقية التي وصلت من مصادر تنتمي إلى تاريخ متأخر، ولكنها مع ذلك عظيمة القيمة. وملحمة الإله "بعل" وأخته الإلهة "عنت"، هي أهم القصائد الأوغاريتية لطولها وأهمية موضوعها،

وتبدأ بقصة الصراع بين "بعل" وإله البحر "يم" (*)، ثم تنتهي بانتصار "بعل" الذي يمثل الدورة النباتية، وتمضي الملحمة فتروي بناء قصر "البعل" والاحتفال المهيّب بافتتاحه. والنقطة التي تدور حولها الملحمة هي ذبح "بعل"، ثم النزول به إلى مملكة الموتى. وكان يحكم تلك المملكة الإله "موت"، ولعل معنى اسمه فعلاً (الموت)، ويدفن "موت" الإله "بعل" مع تشييع يليق بمقامه. وكان اختفاء "بعل" يؤدي إلى توقّف الحياة على الأرض، وهنا، تأتي الإلهة المحاربة "عنت" بالإله "موت" وتذبحه، ثم يعود "بعل" إلى الأرض فتعود معه الخصوبة المصحوبة بالأمطار وجريان مياه الوديان وقد شُهِت بالعدل. ويُعتقد أنّ القصة تقوم في معظمها على دورة الفصول، فـ "بعل" إله المطر والخصب يحكم الأرض من أيلول (سبتمبر) إلى أيار (مايو)، و"موت" هو إله الجذب والموت ويحلّ محل "بعل" في الصيف، ولكن يُطرد مرة أخرى بقدم الخريف. (Moscati, 1960)

وتتمثّل الروح الفلسطينية هنا دينياً عندما تتشكّل بعض الأساطير رموزاً إنسانية دائمة لتفسير الحياة، أو لاكتساب العبر والحكمة والفوائد الفكرية من خلال أحداثها، وحياة وسلوكيات شخصياتها. وهذه الأساطير - وإن لم تكن تاريخاً فإنّها تحمل في أحداثها وأقوالها خلاصة تجارب الشعوب، وطرائق تفكيرها في فترات معينة، وبعضها يأتي على شكل ملاحم خالدة، أو حكايات مشوّقة. وملحمة الصراع بين "بعل" و"موت" أسطورة من الميثولوجيا الدينية الكنعانية الفلسطينية القديمة؛ فالإله "بعل" هو معبود قديم يمثّل الغيث والخصب والخير والحياة كما سبق الإشارة، أمّا الإله "موت" فهو سيد العالم الأسفل، عالم الظلام والموت الأبدي. والرمز واضح هنا في الأسطورة؛ فهذا الصراع يمثّل دورة الجفاف والخصب على الأرض، وبخاصة أن بلاد الشام وبلاد الرافدين هي بلاد زراعية. إذن؛ "بعل" و"موت" هما الخصب والجفاف، النور والظلام، الخير والشر، العمران والدمار، النظام والفوضى، الحياة والموت. (قلعه جي، ٢٠١٤/١٠/١٣)

والآن إلى تحليل أسطورة "بعل" / "موت" التي تتألف من ثلاثة فصول: (ساترفيل: نت)

الفصل الأول: معركة السيادة (دورة الخريف)

ويتركّز حول الصراع بين الإلهين: "بعل" و"يم"، حيث ينشأ الصراع من رغبة كليهما في السيطرة على الأرض وامتلاكها. وفي العقليّة الكنعانية الفلسطينية كان الإله "يم" يسيطر على الأرض، وبدا الكل محكوماً بقدرة. وبسبب الفيضانات لن يكون ثمة محاصيل، وغياب المحاصيل يعني المجاعة، بيد أنّ الإله "بعل" كان يملك القوة والقدرة على السيطرة على المياه من خلال إخضاع الإله "يم". وكون "بعل" إله الأرض يعني وجود نظام واتساق في الأمطار والخصوبة، وكانت هذه الأسطورة محاولةً لتفسير هذه الظاهرة. فنجد في المشهد الافتتاحي كل الآلهة مجتمعاً معاً على مأدبة كبيرة، ويبدو الإله الأعظم "إيل" هو المهيمن.

(*) يم: إله الري المائي المضطرب وعديم الفائدة الذي لم يكن معروفاً في كنعان.

ومن الواضح من خلال النصوص أنَّ الإله "إيل" يفضل الإله "يم" في معركة السيادة لأنَّه يخشى قوة "يم"؛ فيرسل "يم" إلى مجمع الآلهة رسولين يقولان:

"إيل": سلموا إليَّ ذاك الذي تؤوون

ذاك الذي تؤويه الجموع

سلموا إليَّ "بعل" وأنصاره

ابن "داجون"، حتى أرث ملكه.

طأطأ كل الآلهة المجتمعون بمن فيهم "إيل" رؤوسهم حتى ركبهم على مقاعدهم الملكية، ويؤيخ الإله "بعل" الواقف بحذاء "إيل" المجمع على جبنه، ويقول: "سأجيب رسولي "يم". بعد ذلك: يواجه الإله "بعل" الإله "يم" في معركة مفتوحة، فيضرب الإله "بعل" الإله "يم" بين عينيه.

فخر "يم" وتضعضع

وتهاوى ساقطاً

تخاذلت مفاصله

وهوت قامته

وأخيراً؛ يقول الإله "يم": "ها أنا ذا بمثابة الميت! إنَّ "بعل" هو الملك حتماً". لقد فتح "بعل" المياه الجامعة، وأصبح "إله كل الأرض".

والفصل الثاني: بناء قصر للإله "بعل" (دورة الشتاء)

بعد أن ظفر الإله "بعل" بمملكته الخالدة لا بدَّ أن يكون له قصر خاص به ليحلَّ فيه، ويحصل "بعل" على إذنٍ من الإله "إيل" لبناء قصر يسود منه. وبعد أن يعطي "إيل" إذنه تصدح الإلهة "عاشرة":

هو ذا "بعل" الآن سيبتدئ موسم الأمطار

موسم الوديان التي يغمرها فيض الثلج

سوف تردّد الغيوم جلجلة صوته

ويضيء الأرض ببرقه.

ثمَّ يتم بناء قصرٍ للإله "بعل" الذي يشقُّ عبر فتحة النافذة طريقاً إلى السماء ليتيح للمطر الهبوط إلى الأرض لإعطائها الخصوبة، وبذلك انتصر "بعل" على المياه الجامعة وأصبح بطل الأرض، وأخذ يصدح بكلماتٍ ملؤها الغطرسة:

ليس لأحدٍ، ملكاً كان أم سواه

أن يبسط سلطته على الأرض.
ليبك "موت" على نفسه
لأنني وحدي سأسود على الآلهة

والفصل الثالث: موت "بعل" وعودته إلى الحياة (دورة الصيف)

وهنا نرى اقتراب انتهاء الشتاء، حيث يأتي وقت الحصاد الذي مع قدومه يأتي الصيف الجاف، ويجب على الإله "بعل" أن يهزم من قبل الإله "موت" لموسم واحد. فيدعو "موت" الذي حُجب عن الوليمة، "بعل" إلى العالم السفلي لإرواء عطشه الناتج عن عطش الصيف الذي نُفي إليه "موت". يرفض "بعل" بداية الدعوة لكنه يدرك أنه بصفته بطل الآلهة عليه أن يذهب إلى العالم السفلي ليخفف عطش "موت"، "لكنه إن ذهب سيمر بالجفاف والموت". وأخيراً، يوافق "بعل" على الذهاب إلى قدره يصطحب معه الغيوم والرياح والأمطار، فيموت "بعل".

تتضم الإلهة "عناة" أيضاً إلى هذه الطقوس الغريبة من الحداد، وبعد إتمامها تقدّم "عناة" العديد من الأضحيات والقرابين إلى "بعل". ولكن في النهاية يطرح السؤال نفسه: من سيحل مكان "بعل"؟ يطلب "إيل" من الإلهة "عاشرة" أن تأتي بأحد أبنائها ليتبوأ مكان "بعل". وتقترب أحدهم، لكن "إيل" نفسه يرفض "لأن الولد لا يستطيع مجارة "بعل"، فتعرض ولداً آخر لتبوء المكان، لكنه يلقي الرفض أيضاً لأنه ليس بالحجم الكافي ليجلس على عرش "بعل"، "فلا قدماء تصلان إلى مسند القدمين، ولا رأسه يصل إلى قمة العرش".

ثم يأتي الخبر إلى "عناة"، وفي حالة من الغضب العارم:

تقبض على الإله "موت"
وتشفّه بشفرة
وتهوي عليه بمجرقة
وتحرقه بالنار
وتطحنه بحجر الرحي

يتبادر من خلال الأفعال المستخدمة في المقطع الأخير: "يشق ويحرق ويهوي ويطحن"، أنه بموت الإله "موت" يعود النماء والخصوبة إلى الأرض. وفي الحقيقة؛ فإن هذه الحالة تسود مدةً وجيزةً بعد عودة الإله "بعل" إلى الحياة: "أمطرت السماء زيتاً، وسالت الوديان عسلاً". ومع عودة خصوبة الأرض، تختتم دورة "بعل".

وقد سبق الأدب السوري عامة والكنعاني الفلسطيني خاصة الأدب عند اليونانيين فيما يخص قصيدة "بعل" / "موت"، ومن المحتمل أن تلك القصيدة كانت تُمثّل كمسرحية على الساحل السوري قبل أن يفكر اليونانيون بالمرحلية بعدة قرون، وإذا صحّ ذلك فيكون السوريون قد سبقوا اليونانيون الذين يعتبرون عادة منشئ التمثيل المسرحي. (حُتي، ١٩٥٨)

ثانياً: الروح الفلسطينية زمن الاحتلال الفارسي واليوناني والروماني لفلسطين

كانت فلسطين بسبب موقعها الجغرافي المتميز مطمئناً لكثير من القوى الأجنبية عبر العصور، سواء كانت من دول المنطقة أو من خارجها. فقد فرض المصريون والآشوريين والبابليين نفوذهم على فلسطين في فتراتٍ مختلفة من التاريخ، كما تعرّضت لاحتلال الحثّيين الذين قدموا من ناحية آسيا الصغرى، والإسرائيليين الذين قدموا من مصر، والفرس من الشرق، والإغريق والرومان والصليبيين والإنكليز الذين قدموا من أوروبا، وفي العصور الوسطى استولى العرب المسلمون، ثمّ المسلمين من غير العرب عليها، وبقيت تحت حكمهم لقرونٍ طويلة حتى تاريخ الاحتلال البريطاني لفلسطين في أواخر عام ١٩١٧، ثمّ أخيراً الصهاينة الذين احتلّوا فلسطين تحت زعم استرداد حكمهم الذي كان في التاريخ القديم.

وبما أنّ الحثّيين والإسرائيليين القدماء لم يؤثّروا البتّة في الجانب الحضاري لفلسطين؛ بل هم الذين تأثّروا بالحضارة الفلسطينية القديمة فلم يكن لبني إسرائيل في أي وقت حضارة خاصة بهم يمكن نسبتها لهم، لأنّ حضارتهم مقتبسة عن الأمم المجاورة لهم. وبعد استقرارهم في فلسطين أخذ أتباع موسى بحضارة الكنعانيين وتقاليدهم وعاداتهم، كما أخذوا اللغة الكنعانية الفلسطينية لغةً لهم فتعلّموا أبجديتها (سوسة، ١٩٧٣؛ حثّي، ١٩٥٨). ومن هنا؛ سوف نبدأ حديثنا بدايةً من تأثّر فلسطين بالحضارة الفارسية. ففيما يخص الجانب الحضاري للفرس خلال فترة حكمهم لفلسطين ابتداءً من القرن السادس قبل الميلاد، نلاحظ مدى تأثّر سكّان فلسطين بالفرس، حيث أرخوا بسنوات حكم ملوكهم، كما استخدموا العملة الفارسية (إبراهيم، ١٩٩٠). وامتاز حكم الفرس بالعدل والإنسانية ممّا أفاد فلسطين وسكّانها؛ فاستتب الأمن وعاش الناس بطمأنينة وازدهارٍ اقتصادي نتيجة لتنظيم الفرس الحسن، والإصلاحات الإدارية والاقتصادية، وخفّفوا الجزية عن المدن السورية بما فيها الفلسطينية. كما أدخل الفرس إلى مصر والشام ومنها فلسطين، الاحتفال (بعيد البيض) في شم النسيم والذي يعود بتقليده إلى (بيض رأس السنة) الذي عرفه الفرس. (الدباغ، ١٩٦٥)

فالروح الفلسطينية بدت في أجلى صورها بقبول سكّان فلسطين حضارات الآخرين ممّن يختلفون عنهم في الثقافة؛ فالفلسطينيون لم يكونوا عنصريين يرفضون ثقافة غيرهم من الأمم، رغم أنّ الفرس يختلفون عنهم اختلافاً جذرياً في الثقافة واللغة والعادات والتقاليد؛ وبالتالي: فإنّ الفلسطينيين كانوا يقبلون الخضوع للحكم الأجنبي إذا كان يتّسم بالعدل والإنسانية.

وخلال فترة حكم الإغريق لفلسطين كان الاهتمام الأول لهم في نشر حضارتهم الذي ارتكز على بناء المدن الجديدة، وترميم القديمة منها، وإنشاء المدارس، وبناء المسارح والمعابد والملاعب والساحات، فضلاً عن نشر عاداتهم وتقاليدهم (الدباغ، ١٩٦٥).

وقد بنى الإسكندر الأكبر ميناء (انثيدون) (*) (مدينة الزهور) على شاطئ غزة، أسكنه بالمستوطنين الإغريق (المبيض، ١٩٨٧). ودام حكم اليونان الإغريق نحو ثلاثة قرون (٣٣٢-٦٣ ق.م)، إلا أن سياسة الاندماج التي سعى إليها الإسكندر الأكبر لم تتحقق لأن الإغريق سكنوا المدن. أما القرى فقد ابتعد سكّانها عن الإغريق وتقاليدهم، وظلّوا محافظين على تراثهم وطابعهم، ويستدل على ذلك أنه رغم كون اللغة اليونانية صارت اللغة الرسمية، فإن اللغة الآرامية بقيت اللغة المحكية والمتداولة، وهي اللغة التي تكلم بها المسيح، ثم تطورت منها السريانية التي تعتبر إحدى اللهجات المحكية للغة الآرامية.

ومن هنا؛ يبدو واضحاً للعيان أن الروح الفلسطينية -كما ذكرنا سابقاً- لم تكن على وتيرة واحدة، فكما قبلت حكم بعض القوى الأجنبية لها لما اتسمت به من العدل والإنسانية، فإنها رفضت حكم قوى أجنبية أخرى كحكم الإغريق الذين لم يتعاملوا مع سكّان فلسطين بالعدل؛ بل نجد لدى الإغريق نوعاً من العنصرية تجاه الفلسطينيين الذين رفضوا سياسة إدماجهم بالمستعمرين الإغريق، خاصة وأن الإغريق فضّلوا العيش في المدن الرئيسية دون القرى التي رفضت تماماً الاندماج بهم، نظراً لوجود اختلافاً ملحوظاً في العادات والتقاليد. كما أن الإغريق حاولوا إرغام سكّان فلسطين على عبادة الإله الإغريقي "زيوس"، وهذا يتعارض وسياسة سكّان فلسطين في تعدد المعتقدات والآلهة، وترك حرية العبادة لمواطنيها. ومن كل ما سبق؛ فإن الروح الفلسطينية خلال فترة الحكم الإغريقي لفلسطين كانت تنشد ترسيخ مبدأ الاستقلالية والحرية الشخصية والدينية عند سكّانها، رغم ما تعرضوا له من قهر واضطهاد، وذلك بصرف النظر عما حققته الحضارة الهلينية من نجاح في بعض مناطق الشرق الأدنى.

وخلال فترة الحكم الروماني لفلسطين منذ القرن الأول قبل الميلاد لم تصبح اللاتينية لغة التخاطب؛ بل كانت اللغة الرسمية فقط مع ترجمة يونانية مرفقة بها؛ إذ بقيت في عهدهم اللغة اليونانية لغة الأدب والتعليم، واللغة الآرامية اللغة المحلية الدارجة، بالإضافة إلى اللغات الخاصة للشعوب المتعددة. وفيما يخص المجتمع السكاني الذي كان يقيم في فلسطين في العصر الروماني؛ ففلسطين دوماً كانت موطن شعوب كثيرة ومتباينة. ولم يكن العصر الإغريقي أو العصور الرومانية لتختلف عن القاعدة؛ ففي العصر الإغريقي سكن الأدوميون العرب في الجنوب، وكان الأبطوريين العرب يستوطنون البلاد منذ مدة طويلة وخاصة في الأجزاء الشرقية والشمالية الشرقية. ومما هو متعارف عليه؛ فإن الأجزاء الشرقية من فلسطين كان يدخل إليها وباستمرار فائض سكاني عربي من شرقي الأردن. وكان هنالك وجوداً عربياً على الساحل الفلسطيني، كما وجدت أيضاً جاليات فينيقية، بالإضافة إلى المقدونيين والإغريق والرومان. كل أولئك أتوا إلى فلسطين على هيئة جيوش ومستعمرين وتجّار ومستوطنين، ثم أقاموا في النهاية بها وتوطّنوا. (إبراهيم، ١٩٩٠)

(*) تم الكشف في عام ١٩٩٥ عن ميناء مدينة (انثيدون) الواقع شمال معسكر الشاطئ في منطقة الابلاخية (المشتل)، وقام الباحث بزيارة بقايا الميناء حيث شاهد سورها المتهدم وبقايا قطع الفخار المستعمل آنذاك، وحجارة السور هي من نوع الحجارة الكلسية السمكية. ولم يُعثر في انثيدون على أي مقابر، مما يدل على أن سكّانها فروا من المدينة بسبب ظروف معينة ربما كانت بسبب هجوم البعض على المدينة، حيث لم يعد سكّانها إليها.

فالروح الفلسطينية خلال فترة الحكم الروماني - وإن تأثرت بتقاليد الحكم العسكري الروماني الصارم - لكنها بقيت محتفظة بشخصيتها الاستقلالية في مجال: اللغة والعادات المجتمعية من ناحية، وطغيان العنصر العربي على تركيبته الديموغرافية من ناحية أخرى، وذلك خلال الفترة التي سُميت بفترة "السلام الروماني Pax Romana". والأهم من هذا كله فقد استطاعت الشخصية الفلسطينية الفريدة استيعاب العناصر الوافدة إليها في بوتقتها، كتعبير عن رضا هذه العناصر الامتزاج بالفلسطينيين، فقبلوا الانخراط فيها عن قناعة وقبول، فتشكل بذلك مزيج من التركيبة السكانية التي أغنت ثقافة فلسطين على مدار التاريخ.

ثالثاً: تجسيد الروح الفلسطينية من خلال دعوة السيد المسيح الفلسطيني

لم تشهد بقعة من بقاع الأرض ظهور عدد كبير من الأنبياء والرسل سوى فلسطين التي حظيت بهذا التشريف والتكريم، حتى الأنبياء الذين لم يعيشوا فيها نظروا إليها نظرة تقديس. وامتاز العصر الروماني بحدث تاريخي على قدر من الأهمية، كان له أكبر الأثر في تاريخ فلسطين عموماً، هو ولادة المسيحية كشريعة سماوية على أرضها (الحوت، ١٩٩١). وشاء القدر الإلهي أن تكون مدينة بيت لحم الفلسطينية، الشاهد الأول على ميلاد السيد المسيح. فقد ولد عيسى ابن مريم عليه السلام، أو يسوع الناصري -كما ذكرته المراجع المسيحية- في بيت لحم. (إنجيل متى: ١/٢)

وبرزت الروح الفلسطينية في أجمل حُلِيِّها بنشأة السيد المسيح في الناصرة الذي أخذ يبشّر بدعوته السماوية، فجاءت تعاليمه بدايةً لعهد جديد، ومن فلسطين انطلق تلاميذ وحواريو السيد المسيح يبشرون بالشرعية الجديدة. وفي فلسطين أيضاً ورغم مقاومة اليهود لانتشار المسيحية من جهة، ورغم التعصّب الوثني لدى الآخرين من جهة أخرى، ناهيك عن اضطهاد الرومان الشامل للمسيحيين فقد أخذت المسيحية تنتشر في الضواحي والقرى. (الحوت، ١٩٩١)

وفي عهد الإمبراطور قسطنطين (٣٠٦-٣٣٧م) أول من اعتنق المسيحية من أباطرة الرومان تمّ بناء الكنائس وإقامة الصلوات، كما أمرت الملكة الأم هيلانة (أم قسطنطين) ببناء كنيسة القيامة في القدس، وكنيسة المهد في بيت لحم؛ وبذلك انتشرت المسيحية على أرض فلسطين كلها بعد ميلاد المسيح بثلاث قرون (جارودي، ١٩٨٦). ففي فلسطين وُلدت المسيحية، ومنها انتشر الإيمان بها في جزء كبير من العالم. ومن شدة إعجاب الرهبان والراهبات الأوروبيين بفلسطين قدّموا إليها واستقروا فيها للتعبّد في أديرتها، وقدّموا خدمات جليلة لأتباع هذه الشريعة بين الفلسطينيين الذين اعتنقوا المسيحية السمة في بداية ظهورها، بعدما اعترفت السلطات الرومانية بها كدين رسمي للإمبراطورية. (إبراهيم، ١٩٩٠)

رابعاً: الروح الفلسطينية تحت الحكم الإسلامي

بدأت الروح الفلسطينية بالتطوّر منذ اعتناق سكّانها للإسلام بأن أصبحت لفلسطين مكانة كبيرة عندهم وعند المسلمين كافة؛ فهي بحسب معتقداتهم الأرض المباركة التي ذكرها الله في القرآن الكريم في عدة سور مثل: "الإسراء"، و"الأنبياء"، و"مريم".

ولمدينة القدس أهمية خاصة عند المسلمين لوجود المسجد الأقصى فيه الذي كان أول قبلة يتوجه إليها المسلمون في الصلاة، ومنه عرج النبي محمد صلى الله عليه وسلم إلى السماء. ويطلق المسلمون اسم "بيت المقدس" أو "القدس" على المدينة لقدسيتها. وفي فلسطين العديد من المساجد التاريخية والشواهد الإسلامية مثل: مسجد عمر، ومسجد البراق في القدس، والجامع العمري في غزة، بالإضافة لكثير من مقامات الأنبياء مثل: مقام الخضر، ومقام النبي الياس، ومقام النبي داود، ومقام النبي صالح.

تمكّن العرب المسلمون من الاستيلاء على فلسطين في عام ٦٣٦م مع بداية حركة فتوحاتهم، ثم خضعت - لاحقاً - لحكم الأمويين، والعباسيين، والطولونيين، والإخشيديين، والفاطميين التي في عهدهم استولى الصليبيون الأوروبيين على فلسطين عام ١٠٩٩م، حتى استردها منهم الأيوبيون. ثم خضعت فلسطين لحكم المماليك، وأخيراً العثمانيين الذين حكموها حتى عام ١٩١٧، عندما احتلتها بريطانيا خلال الحرب العالمية الأولى.

لم تكن الروح الفلسطينية غائبة كثيراً خلال هذه الفترة الزمنية الطويلة، على الرغم من أن فلسطين خلالها لم يكن لها كيان مستقل، وإنما كانت كغيرها من المناطق العربية خاضعة لنفوذ دول إسلامية عظيمة الشأن ذات مساحات شاسعة. لكن أعظم ما تمثلت به الروح الفلسطينية عند الفتح الإسلامي لها، كان موافقة سكان مدينة القدس تحديداً على تسليم مدينتهم طواعيةً للفاطحيين الجدد، بعدما سمعوا الكثير عن عدلهم وسماحتهم. وبناءً على ذلك، منح خليفة المسلمين عمر بن الخطاب سكان القدس ما سُمي -في التاريخ- بالعهد العمرية وذلك في عام ٦٣٨م. وهذا العهد الذي أعطاه الخليفة المسلم لبطريك القدس لشاهد على سماحة الإسلام، وتقديره لحرية الأديان والذي ما زال محفوظاً إلى اليوم، ويُعتبر من أقدم العهود في التاريخ.

ومع انتقال السلطة إلى الأمويين بدأت فلسطين حقبة جديدة من تاريخها الطويل، فمعاوية بن أبي سفيان والي الشام نصّب نفسه خليفةً للمسلمين، وكان الواجب عليه كما فعل أسلافه أخذ البيعة من مركز الدولة في المدينة المنورة، لكنّه بسبب حنق أهل الحجاز عليه ذهب إلى القدس وأعلن خلافته منها عام ٦٦١م، ثم بايعته الرعية فيما بعد (الطبري، ب.ت؛ أحمد، ١٩٧٧). فقد أدرك معاوية بهذا التصرف أهمية فلسطين الروحية عند المسلمين؛ فاعتبر أن القدس تسدّ الخلل الروحي والمعنوي الذي نجم عن عدم ذهابه إلى المدينة وأخذ البيعة فيها، وهو بذلك أبقى على العادة التي درج عليها أسلافه مع فاروق جوهرى مهم، يتمثل بعدم حصوله على موافقة صحابة النبي محمد الكبار لكي يتولّى أمر الخلافة.

بقي أن نشير إلى اهتمام الخلفاء الأمويين بفلسطين نظراً لقدسيتها من ناحية، ولأهميتها الاستراتيجية من ناحية أخرى فقد أنشأ الخليفة عبد الملك بن مروان قبة الصخرة عام ٦٩١م فوق صخرة المعراج، وجاء إنجازها كدليل على الاستقرار والرفاهية الذي نعمت به الدولة الإسلامية. وشيّد الأمويون كذلك المسجد الأقصى، ورغم الاختلاف حول منشئه من الخلفاء فيعتقد أن عبد الملك بن مروان هو الذي شرع في بنائه، ثم أكمل البناء ابنه الوليد. (أبو نحل، ٢٠٠٧)

إن ذلك كله يبيّن أهمية فلسطين في أية مشروع سياسي للدول التي اهتمت بها، وأولتها عناية فائقة، فالمسلمون كانوا مدرّكين تماماً لأهمية سيطرتهم على فلسطين، ومنحوا سكّانها من مسلمين وغير مسلمين الحرية الشخصية الكاملة؛ بل ومنحوا بعض زعماءها حق حكم القبائل الفلسطينية المحلية، نظراً لخصوصية تلك القبائل في تقاليد الحكم.

وخلال فترة الحكم العثماني شهدت فلسطين محاولة انفصالية قام بها أحد أبناءها الشيخ ظاهر العمر (١٦٨٩-١٧٧٥)، وهو ما سنركّز عليه هنا كدراسة حالة، فالشيخ ظاهر العمر يُعتبر أول زعيم فلسطيني في التاريخ الحديث حاول إقامة كيان فلسطيني مستقل.

روح الشيخ ظاهر العمر

عُين الشيخ ظاهر العمر عام ١٧٠٣ حاكماً على منطقة الجليل الفلسطيني، وعمل على تقوية مركزه (الصباغ (عبود)، 2017: ٢٣)، وفي عام ١٧٣٠ تمكّن من الاستيلاء على مدينة طبرية (Volney, 1907)، ثم استولى على مدينة عكا في عام ١٧٤٦ لجعل منها عاصمةً له بدلاً من طبرية القريبة من مقر ولاية دمشق، فعمل على جذب التجار الأوروبيين وخصوصاً الفرنسيين إليها. وبمساعدة وزيره ومستشاره المسيحي إبراهيم الصباغ أدخل سياسة اقتصادية جديدة، هي سياسة الاحتكار الاقتصادي لأهم المنتجات الزراعية في إمارته. (أبو نحل، ١٩٩١؛ (Une lettre du consul général français à Acre, le 18/11/1746

ولعب ظاهر العمر على سبيل المثال دوراً بارزاً في الأوضاع الداخلية للمناطق التي كانت خاضعة لنفوذه، فساهم في استقرار الأمن والعدل ونشر الطمأنينة بين الأهالي من مختلف الطوائف الدينية (أبو نحل، ١٩٩١). وبعد أن تصالحت الدولة العثمانية مع عدوتها اللدود روسيا، وأمنت جبهتها الخارجية عمدت إلى التخلص من أعداءها المحليين، وسرعان ما تدهورت العلاقة بين الدولة العثمانية وظاهر العمر في منتصف عام ١٧٧٥، فأرسلت الدولة العثمانية حملة عسكرية إلى عكا أسفرت عن مقتله في العام نفسه، لتنتهي زعامة هذا الرجل الذي جاوز سنه التسعين (الصباغ (عبود)، ٢٠١٧؛ الجبرتي، ب. ت)؛ وبذلك عادت فلسطين مرة أخرى إلى السيادة العثمانية.

إنّ ظاهر العمر مثّل حالة فلسطينية رائعة لم ترّ لها فلسطين مثيلاً على مدار التاريخ، إذ لم يكن زعيماً فلسطينياً فحسب؛ بل نال إعجاب واحترام جميع سكّان بلاد الشام، لما اتسم به حكمه من العدل الذي شعر به سكّان إمارته من الطوائف الدينية كافة، كما اتّصف بالحكمة والتعقّل، ومصادقة جيرانه، وامتاز بالقوة فقاد بعثاته العسكرية بنفسه. وكان كثير البر والعناية بأهله وذويه وحاشيته، كما كان كثير الحياء فلم يكن يرفع بصره إلى امرأة، ويكره من يحب الفساد. ولم تكن من عاداته التبرّج في لبس الثياب، ووصف بالعدل حيث نشر الأمن في بلاده. ونالت المرأة في عهده حقوقها كاملة، وشعرت بالأمن والطمأنينة، حتى أنه أمر بتوقيع عقوبة الإعدام على كل شخص يضبط متلبساً بمغازلة النساء أو إهانة امرأة (الصباغ (ميخائيل)، ١٩٣٥؛ Volney, 1907)، وهذا كان تعبيراً عن روح المحافظة التي اتسم بها المجتمع الفلسطيني -ولا زال -حتى يومنا هذا.

خامساً: الروح الفلسطينية تحت الاحتلال الإنكليزي

احتلت بريطانيا فلسطين في عام ١٩١٨ أثناء اندلاع الحرب العالمية الأولى، ومع ذلك لم يعامل الإنكليز الشعب الفلسطيني معاملةً حسنة، فأدى ذلك إلى وقوع أحداثاً جسام أثناء فترة الاحتلال البريطاني لفلسطين بين عامي (١٩١٧-١٩٤٨)، أشهرها استقزاز اليهود للمشاعر الدينية للمسلمين، ومحاولاتهم السيطرة على حائط البراق الملاصق للمسجد الأقصى الذي يُعدُّ من ممتلكات المسلمين المقدّسة، إلى أن نشبت ثورة البراق في ٢٣ آب (أغسطس) ١٩٢٩، بعد أن قامت مجموعة من شبان اليهود المتطرفين بمسيرة ضخمة عبر شوارع القدس حتى وصلوا إلى قرب حائط البراق، مما أثار حفيظة الفلسطينيين وحملهم على القيام بتظاهرة مضادة في اليوم التالي فوقع الصدام بين الطرفين، ووقع قتلى من كلا الطرفين، الأمر الذي أرغم قوات البوليس البريطانية للتدخل، غير أنّها اتخذت موقفاً منحازاً لجانب اليهود، رغم صدور قرار "لجنة شو" البريطانية التي أكدت صراحة على أحقية العرب والمسلمين بحائط البراق والساحة التي أمامه. (الكياي، ١٩٩٠)

ولاحقاً؛ عمدت السلطات البريطانية على مساعدة الحركة الصهيونية سياسياً وعسكرياً، لكي تمكّنها من إقامة وطنٍ قومي لليهود في فلسطين، فشجّعت الهجرة اليهودية إلى فلسطين منذ بداية احتلالها لفلسطين، ثم اضطرت بريطانيا لإعلان انسحابها من فلسطين منتصف ليلة ١٤ أيار (مايو) ١٩٤٨، الأمر الذي استغلته العصابات الصهيونية بالاستيلاء على المناطق التي انسحب منها الإنكليز، حيث تمكّنت العصابات الصهيونية في عام ١٩٤٨ من احتلال جزء كبير من أرض فلسطين الانتدابية يقدر بنحو ٧٨%، ثم أعلنوا قيام دولة (إسرائيل) رسمياً عليها (الهور، ٢٠١٢/٣/٢٥). وبعد ذلك، عمدوا إلى طرد معظم سكّانها الأصليين من الفلسطينيين من مدنهم وقراهم، فنشنتوا في الدول العربية المجاورة، أو هاجروا إلى أوروبا وغيرها من البلدان.

انعكست مظاهر الروح الفلسطينية من خلال ما أبداه الفلسطينيون من قوة وثبات قويين لحماية بلادهم ومقدساتهم، والدفاع عنهما ضد القوات الأجنبية التي حاولت العبث بأمنه واستقراره الذي تمتّع به لقرون طويلة. فما كان للشعب الفلسطيني -رغم قلة حيلته- القبول بتسليم بلاده لأناسٍ غرباء عنهم؛ ففلسطين لم تكن خاوية من سكّانها الأصليين ليتم استيعاب مهاجرين لا يمتّون لها بصلة تاريخية؛ بل كانت عامرة بالسكّان الذين يحتفظون بلغة ودين وثقافة وعادات وتقاليد واحدة؛ لذلك برزت الروح الفلسطينية من خلال مقاومة الاحتلال البريطاني والمستوطنين الجدد. لكن الظروف السياسية بسبب ضعف العرب نتيجة احتلال معظم بلادهم من جهة، والمتغيّرات الدولية من جهةٍ أخرى، سمحت للاحتلال البريطاني بمنح فلسطين ما لا تملك لمن لا يستحق، وذلك من خلال إصدارها تصريح بلفور عام ١٩١٧.

كما تمثّلت الروح الفلسطينية في مقاومة الاحتلال البريطاني بوجود زعماء فلسطينيين قادوا العمل الفلسطيني المقاوم، نذكر منهم على سبيل المثال الحاج أمين الحسيني (١٨٩٥-١٩٧٤) الذي قاد الحركة الوطنية الفلسطينية ضد الاحتلال الإنكليزي، ولعب دوراً مهماً في الصراع العربي الإسرائيلي خاصة في سنواته الأولى أواخر الأربعينيات وأوائل الخمسينيات من القرن الماضي. (الحاج أمين الحسيني، ٢٠٠٤/١٠/٣)

كما ظهر بين الفلسطينيين شعراء ألهبوا مشاعر الجماهير الفلسطينية ضد المحتل البريطاني، نذكر منهم على سبيل المثال الشاعر إبراهيم طوقان (١٩٠٥-١٩٤١) الذي لا زالت أشعاره تتداول بين الفلسطينيين وغيرهم من الشعوب العربية، وأهمها قصيدة (موطني) التي أصبحت النشيد غير الرسمي للشعب الفلسطيني منذ ذلك الحين، ولا زالت هذه القصيدة تعتبر النشيد الوطني لجمهورية العراق ابتداءً من عام ٢٠٠٣ (إبراهيم طوقان: نت). كان طوقان أحد الشعراء المنادين بالقومية العربية والمقاومة ضد الاستعمار الأجنبي للأرض العربية وخاصة الاستعمار الإنكليزي في القرن العشرين، حيث كانت فلسطين واقعة تحت الانتداب البريطاني. (قصيدة موطني للشاعر إبراهيم طوقان: نت)

وأبيات قصيدة موطني هي: (موطني لإبراهيم طوقان: نت)

مَوْطَنِي الجَلالُ والجَمالُ
والسَّناءُ والبهاءُ في رُبّاكِ
والحياةُ والنَّجاةُ
والهناءُ والرَّجاءُ في هَواكِ
هل أراكِ
سالمًا مُنعمًا وغانمًا مُكرَّمًا
هل أراكِ في عَلاكِ
تبلُغُ السَّماكِ
مَوْطَنِي
الشَّبابُ لَن يَكُلَّ هُمُّهُ أَن تَسْتَقِلَّ أو يَبِيدَ
نَسْتَقِي مِنَ الرَّدَى وَلَن نَكُونَ لِلْعَدَى كَالعَبِيدِ
لَا نُريدُ
دُلْنَا المَوْبِدَا وَعِيشْنَا المُنَكِّدَا
لَا نُريدُ بَل نُعيدُ
مجدنا التَّليدِ
مَوْطَنِي
مَوْطَنِي الحِسامُ واليراعُ
لَا الكَلَامُ والنِّزاعُ رَمَзна
مَجْدُنَا وَعَهْدُنَا
وواجِبُ إلى الوفا يَهْزُنَا
عِزُّنا
غايةُ تُشرفُ
ورايةُ تُرفرفُ

يا هَناكَ في عَلاكَ
قاهرًا عِداكَ
مَوطَني

إنَّ قمة الروح الفلسطينية في قصيدة إبراهيم طوقان هذه تتجلى في روعة كلماتها، ووصولها إلى القلب بسهولة، ودعوتها لأبناء الشعب الفلسطيني بمقاومة الاحتلال البريطاني لبلاده. مع التأكيد على أنَّ الشباب الفلسطيني لن ينعم بالراحة والمجد إلا إذا ضحى بدمه من أجل بلاده، وتخلّص من الاحتلال، وإن لم يفعل ذلك فسوف تكون حياته كحياة العبيد. لذلك؛ قدّم طوقان في قصيدته نصيحة لأبناء شعبه بأن يكون سيفهم الذي يرمز للسلاح، وقلمهم الذي يتمثّل بضرورة تلقّيهم سُبُل التعليم كافة أن يكون هدفهم الرئيسي، مع ضرورة تخليهم عن النزاعات الداخلية فيما بينهم، وعن الجدل فيمن هو أحقّ بزعامة الفلسطينيين. ومن هنا؛ تكمن أهمية هذه القصيدة للشعب الفلسطيني، حيث يعتبرونها النشيد الوطني الثاني لهم، وينشدها التلاميذ يوميًا في الطابور المدرسي، كما نالت هذه القصيدة شهرةً في أرجاء العالم العربي كافة حتى يومنا هذا.

سادساً: الروح الفلسطينية تحت الاحتلال الإسرائيلي

في عام ١٩٤٨ استولت العصابات الصهيونية على نحو ٧٨% من أرض فلسطين الانتدابية، وأسست دولة (إسرائيل)، وخلال فترة الحرب عمدت هذه العصابات إلى ترويع السكّان الفلسطينيين الأمنيين، وقامت بطردهم بالقوة من مدنهم قرأهم، واستولت على بيوتهم ومزارعهم التي كانوا يقتاتون منها. وتمّ تشريد جزء كبير من الشعب الفلسطيني إلى الشتات، سواء في الدول العربية أو خارج منطقة الشرق الأوسط في أوروبا والأمريكيتين وأستراليا. وبذلك؛ لم يعد للفلسطينيين وطن مثلهم مثل غيرهم من شعوب العالم، وباتوا لاجئين في أكبر فاجعة إنسانية عرفها القرن العشرين.

وبعد أن تمكّنت (إسرائيل) من احتلال ما تبقى من أرض فلسطين الانتدابية في عام ١٩٦٧، بدأت حكوماتها المتعاقبة في تطبيق عدّة إجراءات عنصرية في الأراضي المحتلة منها: (الأخطار والاعتداءات التي تعرض لها المسجد الأقصى، ٢٠٠٧/٨/٢٦)

- القيام بإجراءات تعسفية وعقابية بحق الفلسطينيين الذين خضعوا للاحتلال.
- بناء المستوطنات اليهودية على الأراضي المملوكة للمواطنين الفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غزة ومدينة القدس.
- تهويد مدينة القدس بالكامل، وتغيير التركيبة الديموغرافية فيها لحساب المستوطنين اليهود، وتغيير أسماء شوارعها ومرافقها من اللغة العربية إلى اللغة العبرية.
- القيام بعمليات حفريات تحت المسجد الأقصى بقصد تصدّعه وهدمه، ليتسنى للمستوطنين اليهود -لاحقًا- بناء هيكل سليمان المزعوم على أنقاضه.

وقد عمد الفلسطينيون لمقاومة الاحتلال الإسرائيلي إلى إنشاء كيان سياسي معنوي يمثلهم أمام العالم، تمثل بإنشاء منظمة التحرير الفلسطينية عام ١٩٦٤ على يد أحمد الشقيري الذي سيكون محل دراسة حالة تمثل الروح الفلسطينية.

- روح أحمد الشقيري (١٩٨٠-١٩٠٨)

هو سياسي ومحام فلسطيني بارز، ولكونه يحمل الجنسية السورية أيضاً ولخبراته الواسعة، اختير من قبل الحكومة السورية ليكون عضواً في بعثتها لدى الأمم المتحدة عامي (١٩٤٩-١٩٥٠)، ثم عاد بعدها إلى القاهرة وشغل منصب الأمين العام المساعد لجامعة الدول العربية، وبقي في ذلك المنصب حتى عام ١٩٥٧. كما أختير في المملكة العربية السعودية ليشغل منصب وزير الدولة لشؤون الأمم المتحدة، ثم عُيِّن سفيراً دائماً للسعودية في الأمم المتحدة أيضاً. وكان نشاط الشقيري أثناء فترة عمله بالأمم المتحدة مركّزاً حول الدفاع عن القضية الفلسطينية، وارتبط اسمه بتكوين جيش التحرير الفلسطيني، والدعوة إلى الكفاح المسلح كوسيلة وحيدة لحل القضية الفلسطينية. (أحمد الشقيري: نت)

ولا زالت الروح الفلسطينية بارزة خلال فترة الاحتلال الإسرائيلي، من خلال التنظيمات العسكرية التي أنشأها الفلسطينيون على اختلاف مشاربهم الأيديولوجية من وطنية ويسارية وإسلامية، فكانت حركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح) من أولى التنظيمات، التي أخذت على عاتقها مقاومة الاحتلال الإسرائيلي بزعماء ياسر عرفات الذي سيكون محل دراسة حالة فلسطينية جديدة، وكذلك التنظيمات الفلسطينية الأخرى التي تتبع الفكر اليساري مثل: الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين التي كان أهم مؤسسيها جورج حبش، والجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين التي أسسها نايف حواتمة، ومن الحركات الإسلامية حركة المقاومة الإسلامية (حماس) التي أسسها الشيخ أحمد ياسين.

- روح ياسر عرفات (١٩٢٩-٢٠٠٤)

يعتبر ياسر عرفات من شخصيات الصراع العربي الإسرائيلي المحورية والبارزة التي ارتبط اسمها بالقضية الفلسطينية طوال عقود طويلة، وكان عنصراً فاعلاً على الساحة السياسية، ومحركاً رئيسياً لأحداثها، وهو من مؤسسي حركة فتح. وكان اسمه قد برز بقوة عام ١٩٦٧ حينما قاد بعض العمليات الفدائية ضد (إسرائيل)، عقب الاحتلال الإسرائيلي عام ١٩٦٧ انطلاقاً من الأراضي الأردنية. ثم انتخبه المجلس الوطني الفلسطيني رئيساً للجنة التنفيذية لمنظمة التحرير في عام ١٩٦٩، كما قاد عرفات الكفاح المسلح الفلسطيني ضد الاحتلال الإسرائيلي في السبعينيات وأوائل الثمانينيات من القرن الماضي انطلاقاً من جنوب لبنان. وكان لاتفاق أوسلو الذي وقعته منظمة التحرير والحكومة الإسرائيلية عام ١٩٩٣، نتائج هامة على مسيرة الصراع الفلسطيني الإسرائيلي، إذ تمخض هذا الاتفاق عن وجود كيان فلسطيني جديد في الأراضي الفلسطينية سمي بالسلطة الفلسطينية في العام التالي؛ فأصبح عرفات أول رئيساً للسلطة الفلسطينية منذ نشأتها. (ياسر عرفات، ٢٠٠٤/١٠/٣)

ورغم أن الفلسطينيين نجحوا في عام ١٩٩٤ بإنشاء سلطة فلسطينية على بعض المناطق المحتلة عام ١٩٦٧، لكن (إسرائيل) لا زالت مهيمنة بالكامل على تلك المناطق، ولا تستطيع السلطة الفلسطينية فرض نفوذها على أي كيلو متر من فلسطين؛ فباتت سلطة بلا سلطة فعلية على الأرض. ومع ذلك، لا زال الفلسطينيون يبذلون قصارى جهدهم للحصول على دولة مستقلة خاصة بهم أسوة بشعوب العالم الأخرى، سواء عن طريق النضال السياسي، أو عن طريق الكفاح المسلح.

وما امتاز به عرفات عبر تاريخه النضالي على سبيل المثال، أنه في عام ١٩٧٤ عندما ألقى خطاب فلسطين في الجمعية العامة للأمم المتحدة، أظهر للعالم رغبة الشعب الفلسطيني بالسلام العادل القائم على القرارات الدولية الخاصة بالقضية الفلسطينية، فقال قولته الشهيرة: "أتيت إلى هنا حاملاً غصن الزيتون بيد وبندقية المقاتل من أجل الحرية في الأخرى. فلا تدعوا غصن الزيتون يسقط من يدي" (ياسر عرفات: من بندقية الثائر، ٢٠٠٤/١١/١١)، وهذا يدل على نظرة الزعيم الفلسطيني الثاقبة والراغبة في حقن دماء شعبه ودماء غير شعبه. ومن أقواله أيضاً: "سيأتي يوماً ويرفع فيه شبل من أشبالنا وزهرة من زهراتنا علم فلسطين فوق كنائس القدس ومآذن القدس وأسوار القدس الشريف" (المدهون، ٢٠١٧/١١/٩)، ما يدل على رمزيته النضالية بين شعبه؛ فهو لم يُفرّق يوماً بين أبناء شعبه من مسلمين ومسيحيين، حتى إنه تزوّج من سيدة مسيحية تُدعى سها الطويل، وكان أحد مستشاريه المقربين مسيحياً أيضاً اسمه رمزي خوري.

- الروح الفلسطينية في بروز مصطلح الانتفاضة

الانتفاضة مصطلح يعني الرفض والتمرد الذي تمارسه القوى المظلومة والمقموعة ضدّ القوى المسيطرة، بهدف التحرر والانتصاف. وقد اقترنت كلمة الانتفاضة بالنضال السياسي الفلسطيني في القرن العشرين، إلا أنها لقيت رواجاً عالمياً لفظاً بالعربية (Intifada) خلال الثلاثة عقود الماضية، بحيث أصبحت للفلسطينيين "طريقة حياة وطريقاً للحياة". وهي ظاهرة فلسطينية ديمقراطية شعبية، ونتاج تراكمات نضالية كمّية ونوعية ترتبط بالتحرك الجماهيري الشامل، ومدرسة جديدة في النضال الفلسطيني. وقد تأخذ الانتفاضة طابع المقاومة المدنية، وهو ما يميّز انتفاضة عام ١٩٨٧؛ كالإضرابات، والتظاهرات، والاعتصامات، وإغلاق الطرق، وعدم التطبيع مع الاحتلال، وضرب مخططاته الثقافية، ومقاطعة دوائره المدنية ومحاكمه العسكرية للوصول إلى مرحلة العصيان المدني الشامل. وقد تأخذ طابع المقاومة المسلحة، وهو ما يميّز انتفاضة الأقصى في عام ٢٠٠٠، حيث نمت عسكرة الانتفاضة باستخدام السلاح الناري، والقيام بعمليات استشهادية ضد الاحتلال الإسرائيلي، تأكيداً للحق في استخدام العنف الثوري الذي يعتبر جزءاً مهماً من الكفاح الوطني لنيل الاستقلال، أجازته الشرائع السماوية والمواثيق الدولية. (اشتية، ٢٠١١)

إذن من خلال ما قمنا بسرده، يمكن القول: إن الروح الفلسطينية هنا تبرز بقوة لأن الفلسطينيين كما تمكّنوا في التاريخ القديم من ابتكار اللغة المنطوقة -فإنهم في التاريخ المعاصر تمكّنوا من إدخال مصطلح جديد إلى قاموس اللغات الدولية اسمه مصطلح "الانتفاضة"،

والذي شاع صيته في بعض الدول عند قيام مظاهرات ضد السلطات الاستبدادية الحاكمة، كما أنه يُذكر الشعوب المتعاطفة مع الفلسطينيين بعدالة قضيتهم التي لا زالت دون حل يعيد للفلسطينيين حقوقهم المسلوبة، شأنهم في ذلك شأن الشعوب الأخرى التي اعتنقت من طغيان الاحتلال.

سابعاً: الروح الفلسطينية من خلال الرواية الشفوية في الدراسات التاريخية المعاصرة لتاريخ فلسطين

باتت الرواية الشفوية من الضرورات للباحث في تدوين التاريخ المعاصر لأية أمة أو شعب؛ فالرواية الشفوية أضحت متممة ولازمة لتأكيد ما ورد في الوثائق الرسمية التي صدرت عن الحكومات. والتاريخ بصورة عامة هو كل ما يحيط بنا في بيوتنا وعائلاتنا، وكذلك في مجتمعاتنا راسخ في الذكريات الحية لكبار السن المجربين الذين يخبروننا بما نجهله من معلومات عن وقائع لم نعاصرها، فكل منهم رواية شخصية عن حدث قد عاصره، أو كان فعالاً في إنجازاته خاصة تلك الروايات التي ألمت بالشعب الفلسطيني، مثل: ذكرياتهم عن فترة الانتداب البريطاني، أو حرب عام ١٩٤٨، وما ترتب عنها من ضياع فلسطين، أو العدوان الثلاثي على مصر وقطاع غزة عام ١٩٥٦، وحرب عام ١٩٦٧ التي ترتب عليها ضياع ما تبقى من أرض فلسطين الانتدابية، ثم أحداث الانتفاضة الفلسطينية الأولى (انتفاضة الحجارة) عام ١٩٨٧ المشهورة في التاريخ المعاصر، وكان لها أثرٌ بالغ في استعادة جزءٍ من أرض فلسطين عام ١٩٩٤. (المدلل، مايو ٢٠٠٥)

ونسوق هنا نماذج عدة من الروايات الشفوية التي استخدمها الباحثون فيما يخص تاريخ فلسطين المعاصر، منها: الرواية التي تحدّثت فيها زهرة عابدي عن اندلاع الحرب في عام ١٩٤٨ فتقول: "في قلبي ذكريات مؤلمة عن فلسطينيين قُتلوا أمام عيني، وأنا طفلة يافعة. وقد رأيتُ انسكاب دمائهم على جدارٍ في حيننا في حارة الكنائس، أيامها لم أستطع استيعاب هول الصدمة. وقد تأثرت والدتي بالأحداث والمناوشات الشديدة بين العرب واليهود، فاختارت أن نهرب إلى بيت خالها في ساحة الحناطير المهجور، بعد أن تركه أصحابه وهربوا إلى لبنان، وحين بدأ اليهود بالاقتراب أكثر تركنا البيت وهربنا إلى عكا وبقي والدي في بيت العائلة، لكنّ الخوف جعل والدتي تختار الانتقال إلى لبنان بالسفينة، حيثُ رست السفينة في ميناء بيروت وقد أقمنا في مخيم "المية ومية"، ومن هناك انتقلنا إلى أكثر من مكان، وتلقينا مساعدات غذائية من وكالة اللاجئين "الأونروا"، بينما انتقلت شقيقتي لطيفة مع زوجها إلى سوريا واستقروا هناك، ومن لبنان إلى الشام زحفنا، انتقلنا لنجاور شقيقتي لطيفة، أنا وأمي وأشقائي وقد حصلنا على بطاقات هوية". وتقول زهرة: "لن يكتمل جمالٌ حيفا إلّا بعودة أهلها إليها، مهما طال الدهر أو قصّر". (شهادات حية يرويها فلسطينيون، ٢٠١٣/٥/٢١)

والرواية التي ذكرها زكريا السنوار في رسالته العلمية التي نال بها درجة الماجستير من قسم التاريخ والآثار بالجامعة الإسلامية بغزة عام ٢٠٠٣، وهي بعنوان: (العمل الفدائي في قطاع غزة من ١٩٦٧-١٩٧٣)، وأول ما نورهده من روايات شفوية للسنوار في دراسته للراوي أحمد محمد نمر حمدان، في سياق حديثه عن المجزرة التي ارتكبتها القوات الإسرائيلية في مدينة خان يونس خلال فترة احتلالها للمدينة عام ١٩٥٦، وتماديها في القتل بأن الجنود الفرنسيين تدخلوا لإيقاف تلك المجازر. (السنوار، ٢٠٠٣)

من هنا؛ تبرز أهمية الروح الفلسطينية وذلك بالاعتماد على الرواية الشفوية في تدوين التاريخ الفلسطيني المعاصر سياسيًا واجتماعيًا وثقافيًا، للحفاظ على ديمومة هذا التاريخ في ظل الهجمة الشرسة التي لا يزال يتعرض لها التاريخ الفلسطيني عبر العصور، في محاولة لطمسه نهائياً ومحوه لتأكيد أحقية شعب آخر لا يمت لفلسطين بصلة بأراضيها.

ثامناً: الإنجازات الفكرية والفنية الفلسطينية المعاصرة وتأثيرها على الروح الفلسطينية

- الروح الفلسطينية في الإنجازات الفكرية

برزت الروح الفلسطينية من خلال العديد من المفكرين والأدباء الفلسطينيين الذين برزوا حول العالم، نذكر منهم على سبيل المثال في المجال الأكاديمي: البروفيسور "إدوارد سعيد Edward Said" (١٩٣٥-٢٠٠٣)، من أصول فلسطينية هاجر إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وكان أكاديمياً، وعالم لغويات وأدب مقارن، ومفكر سياسي. وكان لكتابه: "الاستشراق" و"الثقافة والإمبريالية" دوي واسع. كُرّم إدوارد سعيد عشرات المرات، ومنح العضوية في عدد من المؤسسات المرموقة، كما حصل على شهادات فخرية من جامعات عالمية. وحصل على جوائز عديدة منها: "جائزة بودين" من جامعة هارفرد، و"جائزة ليونيل تريلينغ"، و"جائزة ويليك" من الجمعية الأمريكية للأدب المقارن، و"جائزة سبينوزا"، و"جائزة أمير أستورياس". (Edward Said: Net)

كان إدوارد سعيد عضواً في المجلس الوطني الفلسطيني التابع لمنظمة التحرير لمدة ١٤ عاماً، ثم استقال بسبب معارضته الشديدة لبعض مواقف القيادة الفلسطينية، خاصة معارضته لاتفاق أوسلو التي وقعت في ١٣ أيلول (سبتمبر) ١٩٩٣ بين منظمة التحرير والحكومة الإسرائيلية التي قادها "اسحق رابين Yitzhak Rabin"، حيث رأى فيها صفقة خاسرة للفلسطينيين. وقد عُرف في العقود الثلاثة الأخيرة من حياته بمواقفه الجريئة، وكتاباته عن الوضع في الشرق الأوسط التي دافع فيها عن القضية الفلسطينية، وقيام دولة فلسطينية ذات سيادة. (إدوارد سعيد، ٢٠١٠/١٢/٩)

وفي المجال الفكري نجد: غسان كنفاني (١٩٣٦-١٩٧٢)، روائي وقاص وصحفي فلسطيني، ويعتبر أحد أشهر الكتاب والصحافيين العرب في القرن العشرين. وكانت أعماله الأدبية من روايات وقصص قصيرة متجذرة في عمق الثقافة العربية والفلسطينية، وأصدر ثمانية عشر كتاباً، وكتب مئات المقالات في الثقافة والسياسة وكفاح الشعب الفلسطيني. وفي أعقاب اغتياله تمت إعادة نشر جميع مؤلفاته بالعربية في طبعات عديدة، وترجمت معظم أعماله الأدبية إلى سبع عشرة لغة، ونشرت في أكثر من ٢٠ بلداً. وعلى الرغم من أن روايات كنفاني وقصصه القصيرة ومعظم أعماله الأدبية الأخرى قد كتبت في إطار قضية فلسطين وشعبها، فإن مواهبه الأدبية الفريدة أعطتها جاذبية عالمية شاملة. (غسان كنفاني: نت)

ومن أشهر أعلام الدين المسلمين في فلسطين، نجد الشيخ رائد صلاح الملقب بشيخ المسجد الأقصى (١٩٥٨-)، وهو رئيس الجناح الشمالي للحركة الإسلامية في (إسرائيل) منذ عام 1996. ويعد من أشهر الشخصيات السياسية وأبرزها مواجهة للسياسات العدائية الإسرائيلية بحق الفلسطينيين.

تولى منصب رئاسة بلدية أم الفحم ثلاثة مرات متتالية في الفترة الممتدة بين عامي 1989 و٢٠٠١. وفي آب (أغسطس) 2000 أُنْتُخِبَ رئيساً لجمعية الأقصى لرعاية المقدّسات الإسلامية، وهو أول من كشف النقاب عن حفريات المسجد الأقصى. وفي 28 كانون الثاني (يناير) 2013 نال جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام، لما قدّمه من خدمة لأبناء وطنه المسلمين، وحماية مقدّساتهم في فلسطين وعلى رأسها المسجد الأقصى. ولقد اعتقلته سلطات الاحتلال الإسرائيلية مرات عدّة، بسبب دفاعه المستميت عن القدس والمسجد الأقصى. (رائد صلاح: نت)

ومن أعلام الدين المسيحيين نجد الأب مانويل مسّلم (١٩٣٨-)، وهو رجل دين مسيحي فلسطيني، وعضو الهيئة الإسلامية المسيحية لنصرة المقدّسات، راعي كنيسة اللاتين في غزة سابقاً، عُرف بمقاومته للاحتلال ومناهضته للسلطة الفلسطينية، ودفاعه المستميت عن المقاومة ورجالها، كما عُرف بمطالباته المتكرّرة بإنهاء الانقسام الفلسطيني، ورص الصفوف في مواجهة الاحتلال الإسرائيلي. تقلّد الأب مانويل وظائف ومسؤوليات دينية وسياسية عديدة، حيث عمل راعياً مساعداً لكاهن الرعية اللاتينية في الزرقاء والرصيفة في الأردن خلال الفترة بين عامي ١٩٦٣-١٩٦٨، ثمّ كاهناً لرعية عنجرة بالأردن في عام ١٩٦٨، ثمّ كاهناً لرعية جنين (فلسطين)، ومدرّساً للتعليم المسيحي في مدرسة ترانسة في الناصرة. وفي عام ١٩٧٥ أصبح مانويل كاهناً للرعية الكاثوليكية في الزبادة (فلسطين)، ثمّ كاهناً للرعية الكاثوليكية في غزة في الفترة من ١٩٩٥ إلى عام ٢٠٠٩، وكان البابا "بندكت السادس عشر Benedict XVI" قد منحه لقب "مونسنيور" في كانون الثاني (يناير) ٢٠٠٦. (الأب مانويل، ٢٠١٧/٣/١٩)

وعن تجربته السياسية عُرف الأب مانويل بنشاطه المستمر ضد الاحتلال، ومواقفه المدافعة عن المقاومة، وتولّى رئاسة وعضوية العديد من الهيئات والمؤسسات الناشطة في مجال مقاومة الاحتلال، والدفاع عن القضية الفلسطينية داخل وخارج فلسطين؛ فهو عضو في الهيئة الإسلامية المسيحية لنصرة القدس والمقدّسات، ورئيس للهيئة الفلسطينية المستقلة لملاحقة مجرمي الحرب الإسرائيليين (حكم)، وعضو في هيئة العمل الوطني في قطاع غزة، وعضو مؤسس بيت الحكمة في غزة، وعضو مؤسس في لجنة كسر الحصار المفروض على غزة، وعضو ناشط أيضاً في لجان مهتمة بالمصالحة الوطنية الفلسطينية. وعُرف عن الأب مانويل اقتخاره بدور المسيحيين الفلسطينيين في مقاومة الاحتلال الإسرائيلي، وهو صاحب الجملة المشهورة: "إن هدموا مساجدكم ارفعوا الأذان من كنائسنا"، حيث قالها أثناء العدوان الإسرائيلي على قطاع غزة في عام ٢٠١٤. (الأب مانويل، ٢٠١٧/٣/١٩)

- الروح الفلسطينية في الإنجازات الفنية

كان للفلسطينيين في مجال الفن السينمائي باعٌ في هذا المجال؛ ففلسطين عرفت التصوير السينمائي منذ الأخوين الفرنسيين "أوغست August"، و"لويس لوميير Louis Lumière"، اللذين يُنسب إليهما اختراع السينما، ففي عام ١٨٩٦ أرسل المصور "ألكسندر فروميو Alexander Fromio" إلى القدس لتصوير أول فيلم يعرض لمظاهر الحياة في المدينة المقدسة (محطة قطار في القدس) (صلاحيات، ٢٠١٧/٥/٢٧)، كما قام "توماس أديسون Thomas Edison" بتصوير فيلم (الرقص في القدس) عام ١٩٠٢،

وكانت غالبية المشاهد السينمائية المصورة في فلسطين من النوع الإخباري التسجيلي، خاصة وأن فلسطين تحظى بوضعية مقدسة عند المشاهد الغربي، سواء المسيحي أو اليهودي. (إبراهيم، ٢٠١١/٥/٨)

وكانت فلسطين في العشرينيات من القرن العشرين قد أصبحت أرضاً خصبة لصناعة السينما، حيث الاهتمام الكبير بتصوير الأراضي المقدسة للجمهور الغربي، وازدهار الصحافة، ما شجع الأخوين الشابين إبراهيم وبدر لاما على العودة إلى مسقط رأس والديهما الذين هاجروا من مدينة بيت لحم إلى تشيلي في مطلع القرن العشرين. وقد أحضرا معها معدات التصوير والتحميض وغيرها من لوازم صناعة السينما، لكنهما وبسبب الأوضاع السياسية والإضرابات الناتجة عن الاحتلال البريطاني والاستيطان اليهودي لم يكملا رحلتهم، وتوقفاً في الإسكندرية ليؤسسا هناك شركتهما، ويصنعا أول فيلم روائي طويل للسينما العربية "قُبلة في الصحراء" عام ١٩٢٦.

وتشير بعض المصادر إلى أن الأخوين لاما قد صوّرا فيلمهما "الهارب" عام ١٩٣٥، أحدهما ممثلاً والآخر مخرجاً في مدينتهم بيت لحم، والذي تناول موضوع التجنيد الإجباري في الجيش العثماني، أي ذات العام الذي صوّر فيه إبراهيم حسن سرحان فيلمه الوثائقي الأول، توثيقاً لزيارة الأمير السعودي سعود بن عبد العزيز إلى فلسطين ومدته ٢٠ دقيقة، تنقل في تصويره بين القدس واللد ويافا برفقة الحاج أمين الحسيني، ليكون بذلك أول فلسطيني دخل عالم صناعة السينما من باب الهواية؛ فهو لم يكن أكاديمياً كالأخوين لاما، ولكنه قام بتصنيع أجهزته السينمائية بنفسه كآلة المونتاج السينمائي "الموفيولا"، وعقد شركات إنتاج تجارية لإنتاج أفلام، وأفتتح استوديو للإنتاج السينمائي عام ١٩٣٦ في مدينته يافا أسماه استوديو فلسطين. (صلاحيات، ٢٠١٧/٥/٢٧)

علاوةً على ذلك؛ فإنّ العمل السينمائي في كثيرٍ من الدول العربية قامت على أكتاف ممثلين ومنتجين ومخرجين فلسطينيين، ونالوا من خلال عملهم هذا شهرة محلية وإقليمية ودولية، وسوف نكتفي بذكر عدّة نماذج لهؤلاء المشاهير، مثل:

أولاً: الفنانين المصريين من أصول فلسطينية

نجد منهم: الممثل العالمي الراحل عمر الشريف (١٩٣٢-٢٠١٥) من أصل فلسطيني مسيحي، وأسمه الأصلي ميشيل ديمتري شلهوب، وكان قد اعتنق الإسلام. اكتشفه المخرج العالمي "ديفيد لين David Lynn"،

فقدّمه في أفلام عديدة ورشح لجائزة أوسكار عن دوره في فيلم "لورانس العرب" Lawrence of Arabia في عام ١٩٦٢، كما عمل في السينما الفرنسية والإيطالية والأمريكية. ومن أشهر أفلامه الأجنبية نجد: "دكتور زيفاجو" Doctor Zhivago في عام ١٩٦٥، و"تشيفارا" Che Guevara في عام ١٩٦٩ (أسماء الفنانين العرب من أصل فلسطيني، ٢٠١٠/٧/٢٨؛ عمر الشريف: نت). والممثل الراحل عبد السلام النابلسي (١٨٩٩-١٩٦٨) لبناني من أصل فلسطيني وُلد في لبنان، وكان جده مفتي مدينة نابلس، وشارك النابلسي في تمثيل العشرات من الأفلام الكوميدية. (عبد السلام النابلسي: نت). وهناك عدد آخر من الممثلين المشهورين مثل: الممثل الراحل حسن عابدين (١٩٣١-١٩٨٩)، من أصل فلسطيني من مدينة القدس. ونادية لطفي (١٩٣٨-١٩٤١) من أب فلسطيني الأصل وأم يونانية، وهي مسيحية واسمها الحقيقي بولا لطفي شفيق، وسليم سحاب (١٩٤١-١٩٤١) مايسترو الفرقة القومية للموسيقى العربية بدار الأوبرا المصرية، لبناني من أصل فلسطيني من مدينة يافا، وحاصل على الجنسية المصرية. (أسماء الفنانين العرب من أصل فلسطيني، ٢٠١٠/٧/٢٨)

ثانياً: الفنانين السوريين واللبنانيين والأردنيين من أصول فلسطينية

ونجد منهم: شكران مرتجي، وأناheed فياض، وروعة السعدي وأخواتها ووالدهم الكاتب هاني السعدي، وكندة علّوش، وحسن عويتي، وباسم ياخور، وفرح بسيسو، والفنانة المغنية أمل عرفة، والمخرج باسل الخطيب. أما الفنانين اللبنانيين؛ فنجد منهم: المطربة المشهورة فيروز (١٩٣٥-)، واسمها الأصلي نهاد حداد، وهي فلسطينية الأصل من مدينة الناصرة بفلسطين، ولها العديد من الأوبريئات والأغاني التي يصل عددها إلى ٨٠٠ أغنية، ومن أشهر المطربات اللاتي غنين لفلسطين وقصبتها. والفنانة المشهورة ماجدة الرومي (١٩٥٦-)، من أم لبنانية وأب فلسطيني الأصل من مدينة حيفا. والفنان المشهور فضل شاكرا، وأصله من مدينة الخليل. أما الفنانين الأردنيين فنجد منهم: سوبر ستار العرب ديانا كرزون" وأصلها من مدينة غزة، وعبير عيسى، وجوليت عواد. (أسماء الفنانين العرب من أصل فلسطيني، ٢٠١٠/٧/٢٨)

- الروح الفلسطينية من خلال التواجد الفلسطيني في المهجر

إنّ الشعب الفلسطيني لم يكن كغيره من الشعوب العربية وغير العربية، فالمحنة التي تعرّض لها الفلسطينيون جعلتهم شعباً حياً، قاوم كافة الصعاب التي ألّمت به بسبب قسوة الاحتلال الأجنبي لبلاده؛ فنجد عدداً منهم قد هاجر إلى أمريكا اللاتينية لا سيّما تشيلي، وأصبح لهم فيها شأنٌ عظيم وشكّلوا لهم فيها فريقاً لكرة القدم اسمه (فلسطين) "باليسينو Palestino"، حيث يعتبر من النوادي الرياضية الشهيرة فيها. والجالية الفلسطينية في تشيلي تعتبر أكبر جالية فلسطينية في العالم والأكبر في تشيلي، ويصل عددها حسب مصادر رسمية فلسطينية في تشيلي فقط إلى ٣٥٠ ألف فلسطيني. (الفلسطينيون في تشيلي: نت)

وكذلك "رشيدة طليب Rachida Talaib" التي وُلدت في ٢٤ تموز (يوليو) ١٩٧٦، وهي سياسية ومحامية أمريكية، وعضوة عن الحزب الديمقراطي في مجلس نواب ميشيغان سابقاً. عند توليها المنصب في الفاتح من كانون الثاني (يناير) ٢٠٠٩،

أصبحت أول مسلمة أمريكية تعمل في مجلس ميشيغان التشريعي، وثاني امرأة مسلمة في التاريخ تُنتخب في مجلس من هذا النوع في الولايات المتحدة. وفي عام ٢٠١٨ فازت طليب بترشيح الحزب الديمقراطي من أجل مقعد في مجلس النواب الأمريكي عن الدائرة الانتخابية (١٣) في ولاية ميشيغان. ولم تقابل طليب معارضة في الانتخابات العامة، وأصبحت أول فلسطينية أمريكية في الكونغرس، وهي أيضًا عضو في "الاشتراكيون الديمقراطيون في الولايات المتحدة". (17 فلسطينياً رفعوا اسم وطنهم عاليًا، ٢٠١٩/١/٢)

وهناك القاضي "عبد المجيد عبد الهادي Abdul-Majid Abdul-Hadi" الذي أدى اليمين القانونية في تموز (يوليو) ٢٠١٩ قاضيًا لقضاة مدينة "باترسون" في ولاية نيوجيرسي الأمريكية، كأول فلسطيني في الولايات المتحدة يصل إلى هذا المنصب المهم. وكان القاضي عبد الهادي -وهو ابن بلدة دير دبوان شرقي مدينة رام الله- قد أمضى سنوات عدة مدعيًا عامًا ثم قاضيًا للمدينة لمدة ٥ سنوات، قبل أن يصبح قاضيًا للقضاة في مدينة باترسون. (لأول مرة .. فلسطيني قاضيًا للقضاة في أمريكا، ٢٠١٩/٧/٩)

وهناك من أبناء فلسطين من تولى مراكز سياسية مرموقة خارج فلسطين، مثل "إبراهيم محمد إصليح Ibrahim M. Solih" الفلسطيني الأصل الذي أصبح رئيسًا لجزر المالديف في عام ٢٠١٨ (إبراهيم صليح يفوز برئاسة جزر المالديف، ٢٠١٨/٩/٢٥)، وأصبح نجيب أبو كيلة المعروف بالإسبانية باسم "نايب بوكيلي Nayib Bukele"، الفلسطيني الأصل رئيسًا للسلفادور في مطلع عام ٢٠١٩ (Nayib Bukele: Net). وكان "أنطونيو سقا Antonio Saga" الفلسطيني الأصل رئيسًا للسلفادور بين عامي ٢٠٠٤-٢٠٠٩، وفي عهده تم نقل سفارة السلفادور من مدينة القدس إلى تل أبيب في عام ٢٠٠٦، وكان الهدف من نقل السفارة هي عدم اعترافه بأن القدس عاصمة لـ (إسرائيل). وكان الفلسطيني الأصل "كارلوس روبرتو فلورس (فقوسة) Carlos Roberto Flores" قد أصبح رئيسًا لهندوراس بين عامي ١٩٩٨-٢٠٠٢. (الفلسطينيون يحكمون أمريكا الجنوبية، ٢٠١٩/٢/٦). وكذلك "سعيد موسى Said Musa" (١٩٤٤-) الذي تولى منصب رئاسة الوزراء في دولة بليز في أمريكا الوسطى بين عامي (١٩٩٨-٢٠٠٨). وكان قد التحق بالحزب الاتحادي الشعبي (PUP)، وأصبح عضوًا في البرلمان أكثر من مرة، كما تولى مناصب عدة، وعمل في اللجنة التي وضعت الدستور البليزي (Said Musa: Net).

ومن الشخصيات ذات الأصول الفلسطينية نجد: "عمر عزيز Omar Aziz" حاكم ولاية الأمازون البرازيلية (٢٠١٠-٢٠١٤)، و"عمر شحادة Omar Shehadeh" النائب الثاني لرئيس جمهورية البيرو (٢٠١١-٢٠١٢)، و"خورخي بريز لاراش (أبو العراج) Jorge Perez Larache"، وزير خارجية غواتيمالا السابق، و"وليام حنظل William Handal" سياسي من جمهورية السلفادور، تقلد العديد من المناصب السياسية والاقتصادية منها نائب رئيس مجلس وزراء المالية في أمريكا الوسطى وبنما والدومينيكان، ثم تم تعيينه في منصب وزير المالية في جمهورية السلفادور، و"ليزا شومان Lisa Schumann" سياسية ومحامية شغلت العديد من المناصب السياسية منها وزيرة خارجية بليز، والممثل الدائم لدولة بليز لدى منظمة الدول الأمريكية، حيث كانت أول امرأة تعين سفيرًا لبليز لدى الولايات المتحدة، أما حاليًا فهي عضوًا في مجلس الشيوخ في بليز.

(الفلسطينيون يحكمون أمريكا الجنوبية، ٢٠١٩/٢/٦)، و"سلفادور حريزي Salvador Harisi"، رئيس بلدية سان ميغيل في محافظة ليما في جمهورية البيرو. (لاتينيون من أصل فلسطيني، ٢٠١٤/٥/٨)

وهناك؛ "نيكولاس ماسو Nicolás Massú" (نيكولاس أليخاندرو ماسو فريد Nicolás Alejandro Massú Fried) أحد أبرز لاعبي التنس الأرضي بالعالم، بطل أوليمبي سابق، وأفضل لاعب في التشيلي، بدأ في لعب التنس في عام ١٩٩٧، حيث حقق الكثير من الانتصارات والبطولات في مختلف دول العالم، وبعد أولمبياد أثينا أصبح "ماسو" بطلاً قومياً في تشيلي، و"أليكس عطا الله Alex Attalla" الذي يدير سلسلة مطاعم "D.O.M" التي تعد من أضخم مطاعم العالم. (الفلسطينيون يحكمون أمريكا الجنوبية، ٢٠١٩/٢/٦)

وكذلك وسيم شلالدة وهو خبير في تكنولوجيا البرمجة والاتصالات والمعلومات، حصل على جائزة الخبير الأكثر قيمة في شركة "مايكروسوفت" خمس سنوات على التوالي. وقد انتزع اللقب بعد تنافس مع عشرات الآلاف من المتقدمين للجائزة من الخبراء المتخصصين في التكنولوجيا من أنحاء العالم كافة. ويعتبر الخبير الدولي شلالدة من أهم المغتربين الفلسطينيين الذين حققوا انجازات واسعة على عدة أصعدة في المجال العلمي التكنولوجي والابتكارات وتطوير الأعمال والاستراتيجيات في أوروبا والشرق الأوسط، وهو حاصل على عدة براءات اختراع، وتم تصنيفه كواحد من أفضل ١٠ خبراء التكنولوجيا على مستوى الشرق الأوسط، وهو حاصل على أكثر من ٣٥ شهادة دولية مع مرتبة الشرف الأولى. وقد قام شلالدة بتنفيذ وبناء مجموعة ضخمة من الأنظمة المعقدة حول العالم، وحاصل على عدة جوائز في مجال الذكاء الاصطناعي، والتكنولوجيا الافتراضية، والحوسبة السحابية، كما حصل على درجة ١٤٦ في اختبار "الذكاء العالمي IQ". والجدير بالذكر أن الذين يمتلكون هذه الدرجة، هم فقط أقل من ١% من البشر حول العالم. (فلسطيني يحصد جائزة (مايكروسوفت) العالمية، ٢٠١٩/٨/٤)

إن تلك الأسماء الفلسطينية وغيرها الكثير ممن لا نستطيع ذكرها من قصص النجاح هنا قد غدت الروح الفلسطينية على الدوام بطاقة سياسية وفكرية وعلمية؛ فهي تأثرت بالآخرين وأثرت فيهم، مما يجعل من الفلسطينيين أيقونة يُحتذى بها، وتنال ثقة واحترام الشعوب المتقدمة لهم.

– الروح الفلسطينية من خلال إقبال الفلسطينيين على تلقي العلم

لقد تبين من أرقام رسمية أن نسبة المتعلمين في أوساط الشعب الفلسطيني هي الأعلى عربياً (عبد السلام، ٢٠١٥/٢/٢٨)؛ بل وأثبت الشبان الفلسطينيون كفاءتهم وجدارتهم على كثير من المتعلمين على مستوى العالم. والتعليم في فلسطين بشكل عام يمثل غاية لا غنى عنها في الروح الفلسطينية، ويعتبر جانب مهم للغاية من جوانب حياة الفلسطينيين، فمعدلات الالتحاق بمؤسسات التعليم في فلسطين تعتبر من الأعلى بالمقاييس الإقليمية والدولية، وذلك يعكس بوضوح أهمية التعليم بالنسبة للفلسطينيين، فبسبب لجوء الفلسطينيين بعد حربي عام ١٩٤٨ و١٩٦٧، ونزوحهم عن أراضيهم وفقدانهم للكثير من أملاكهم، أصبح التعليم حاجة ماسة بسبب فقدان مصادر الرزق الأخرى المتمثلة بالزراعة والتجارة والصناعة لدى شريحة عريضة من الفلسطينيين.

وبذلك فمن الطبيعي أن يعمل الطلاب الفلسطينيون وذووهم المستحيل من أجل الحصول على قبول في إحدى الجامعات المحلية، أو الجامعات العربية، وإن عجزوا عن ذلك فلا يترددوا بتحمل نفقات التعليم في الجامعات الأوروبية أو حتى في الولايات المتحدة. (التعليم في فلسطين: نت)

وتعتبر النسبة الوطنية الفلسطينية للتعليم في الضفة الغربية وقطاع غزة عالية بالمقاييس الإقليمية والعالمية، وتعتبر من أعلى النسب في العالم العربي (المرتبة الثانية حسب التصنيف العالمي)، حيث بلغت هذه النسبة في السنوات الأخيرة 91.2%، في حين أن نسبة التعليم بين كلا الجنسين (ما بين عمري ١٥-٢٤) قد بلغت 98.2%، ولكن هذا لا ينفي وجود مشاكل التسرب من المدارس وعالة الأطفال. وبلغت نسبة الطلبة الملحقين بالمدارس الحكومية في الضفة الغربية وقطاع غزة حوالي ٧٣%، أما الباقي فموزعون على مدارس وكالة غوث وتشغيل اللاجئين التابعة للأمم المتحدة (UNRWA) بنسبة ٢٤%، والمدارس الخاصة بنسبة ٦%. (التعليم في فلسطين: نت)

والواضح من خلال ما سبق؛ أن الروح الفلسطينية فيما يخص مسألة التعليم بين أبناء الشعب الفلسطيني منذ الاحتلال الإسرائيلي لفلسطين عام ١٩٤٨، وصلت إلى مرحلة مهمة جدًا في تاريخ هذا الشعب. فقد اعتبر الفلسطينيون -بعدما فقدوا بلادهم، وتشتتوا في مختلف بلاد العالم -أن تلقيهم التعليم الأساسي والجامعي هو أهم سلاح قد يمتلكونه لمواجهة الاحتلال بجانب العمل السياسي والمقاوم؛ بل وأكثر من ذلك فإن الفلسطينيين خاضوا غمار مجال الدراسات العليا للحصول على درجتي الماجستير والدكتوراه، وباتوا أكثر شعوب العالم كافة حصولًا على هذه الدرجات، رغم الظروف السياسية والاقتصادية التي يعانون منها، والظروف الصعبة التي يواجهونها سواء في الأراضي الفلسطينية المحتلة، أو في أماكن اللجوء، أو في الشتات.

- الروح الفلسطينية في عالم الاقتصاد الإقليمي والدولي

أسس الفلسطيني عبد الحميد شومان -الذي كان قد هاجر إلى الولايات المتحدة فترة من الزمن -البنك العربي في ٢١ آيار (مايو) ١٩٣٠، كأول بنك فلسطيني وثاني بنك في العالم العربي بعد بنك مصر الذي أسسه طلعت باشا حرب في عام ١٩٢٠. وقد أسس شومان البنك العربي مع سبعة مستثمرين برأس مال قيمته ١٥,٠٠٠ جنيه فلسطيني، وبدأ عملياته في القدس في ١٤ تموز (يوليو) من العام نفسه. واليوم تعتبر مجموعة البنك العربي من أكبر الشبكات المصرفية العربية العالمية، حيث تضم ما يزيد عن ٦٠٠ فرع موزعة عبر خمس قارات.

(Arab Bank: Net)

كما نجح رجل الأعمال الفلسطيني يوسف خليل بيدس الذي وُلِدَ في مدينة القدس عام ١٩١٢، لعائلةٍ أرثوذكسية أصيلة من مدينة الناصرة، من تحقيق نجاحًا باهرًا في لبنان بعد أن هاجر إليه في عام ١٩٤٨، حيث أسس في عام ١٩٥١ بنك "أنترا" على قاعدة مكتب التجار العالميون، وأصبح البنك في خضم سنوات قليلة أكبر بنك في لبنان، حتى انهياره في عام 1966 في ظروفٍ ما زالت إلى الآن مثيرة للجدل. وكان بيدس قد تمَّ تعيينه مديرًا لقسم الصرف في الفرع الفلسطيني لبنك "باركليز" وهو في سن ٢١ عامًا،

وارتفع إلى منصب مدير البنك العربي بحلول نهاية الحرب العالمية الثانية، وقال عنه الجنرال الفرنسي "شارل ديغول Charles de Gaulle": "إنه كان يتمنى أن يكون لديه وزير مالية بقدرات وطاقات بيدس. (يوسف بيدس: نت)

وهناك غازي كامل أبو نحل رجل الأعمال الفلسطيني المشهور الذي وُلِدَ في قرية بربرة قضاء غزة أواخر أربعينيات القرن الماضي والذي يحمل الجنسية الأردنية، حيث بدأ حياته عصامياً بعد أن رحل من قطاع غزة في مطلع الستينيات من القرن الماضي واستقرَّ في قطر، وعمل فيها في إحدى شركات التأمين، ثم أصبح فيما بعد بسبب تفوقه وتميَّزه من أشهر العاملين في مجال التأمين، وقام بتأسيس شركاتٍ عدَّة في هذا المجال، منها الشركة القطرية العامة للتأمين وإعادة التأمين في عام ١٩٧٩، ويشغل حاليًا منصب الرئيس التنفيذي للشركة. ويستعد أبو نحل لتدشين أطول ناطحة سحاب في مدينة بيرث الأسترالية، وبحسب تقارير صحيفة أسترالية من المتوقع أن تبلغ قيمة ناطحة السحاب نحو ١,٨٥ مليار دولار. ويتألف المشروع من برجين أحدهم سيكون الأعلى في نصف الكرة الأرضية الجنوبي، وسيكون مقرًا لمركز التجارة العالمي في أستراليا. ويملك أبو نحل وعائلته واحدة من أكبر مجموعات التأمين في الشرق الأوسط (مجموعة ترست)، وحصصًا في بنوكٍ أردنية ولبنانية وفلسطينية وجزائرية، كما تُطوِّر المجموعة واحدة من أكبر المشاريع العقارية في الجزائر، وهو عبارة عن ٥ فنادق خمس نجوم، ومجمَعًا للأعمال، كما تملك أسرته منتجات "فنتورا دل مار Ventura del Mar" في ماربيللا بمقاطعة مالقة الأندلسية جنوب إسبانيا. (رجل أعمال أردني سيني أطول ناطحة سحاب في أستراليا)

إنَّ إبداع الكثيرين من الفلسطينيين في المجال الاقتصادي وشومان وبيدس وأبو نحل جزء منهم، تُعبّر عن مدى قدرة الشعب الفلسطيني في تحدّي الصعوبات كافة، رغم مرارة التهجير والغربة. ومن هنا؛ فإنَّ الروح الفلسطينية لا تعدم إبراز الكفاءات في المجالات كافة دون استثناء.

– الروح الفلسطينية في معالم الثقافة

تشكّل الثقافة في فلسطين جزءًا لا يتجزأ من هوية الشعب الفلسطيني على مر التاريخ والعصور، ويُعتبر المثقفون الفلسطينيون جزءًا لا يتجزأ من الأوساط الفكرية العربية، ممثلة في الأفراد مثل: مي زيادة و خليل بيدس وعزمي بشارة وغيرهم. والثقافة الفلسطينية هي الأوثق صلة مع تلك الثقافات الشرقية القريبة وبالأخص بلدان مثل: لبنان، سوريا، والأردن، وكثير من بلدان العالم العربي. وتتأثر الثقافة الفلسطينية بالعديد من الثقافات والأديان المتنوعة التي كانت موجودة في فلسطين من الفترة الكنعانية المبكرة فصاعدًا،

فالمساهمات الثقافية لمجالات: الفن والأدب والموسيقى والأزياء والمطبخ أعربت عن تميّز التجربة الفلسطينية، وهي لا زالت تزدهر على الرغم من الفصل الجغرافي الذي حدث في فلسطين الانتدابية بين الأراضي الفلسطينية المحتلة عام ١٩٦٧، والأراضي المحتلة عام ١٩٤٨، والشتات.

والثقافة الفلسطينية تتكوّن من: الغذاء والرقص والأساطير والتاريخ الشفهي والأمثال والنكات والمعتقدات الشعبية والعادات، وتضم تقاليد بما في ذلك التقاليد الشفهية للثقافة الفلسطينية، مثل إحياء الفلكلور بين المفكرين الفلسطينيين مثل: نمر سرحان، وموسى علّوش، وسليم عرفات المبيض، وجذور الثقافة قبل الإسلامية، وإعادة بناء الهوية الفلسطينية مع التركيز على الثقافات الكنعانية واليبوسية. ويبدو أنّ هذه الجهود أثّرت ثمارها كما يتضح من تنظيم احتفالات مثل: مهرجان القباطية الكنعاني، ومهرجان يبوس الموسيقي السنوي من قبل وزارة الثقافة الفلسطينية. (Culture of Palestine: Net)

وكأي مجتمع متأصل ومتجذّر في أرضه؛ فإنّ الفلسطينيين يمتلكون عادات وتقاليد كثيرة تعززت بتكرارها، واعتماد الناس عليها في بعض المناسبات، حتى أصبح الكثير منها مترسّخاً لدى الناس، بحيث يصعب الخروج عنها. وجاءت معظم هذه العادات من الممارسات اليومية للفلسطينيين في مختلف نواحي الحياة، مثل: الزواج وال ميلاد والوفاة والتي أصقلت للشعب عادات خاصة به، تميّزه عن سائر المجتمعات المجاورة الأخرى. وتتنوّع العادات والتقاليد الفلسطينية بما ترسّخه من بعض الجوانب الثقافية لدى الشعب الفلسطيني؛ كالتقاليد المتبعة في الأعياد وشهر رمضان والتي تتأثر بموروثات دينية. وكانت لكل منطقة في فلسطين عاداتها التي تختلف قليلاً عن المنطقة الأخرى، لكنّها تصب جميعها في منهل واحد للعادات الفلسطينية.

فمن أشهر معالم الثقافة الفلسطينية التي باتت ركيزة من ركائز الروح الشعبية الفلسطينية في تاريخنا المعاصر ولا يمكن التخلّي عنها نجد:

أولاً: العادات والتقاليد في شهر رمضان

تكثر العادات والتقاليد التي يمارسها أبناء الشعب الفلسطيني خلال شهر رمضان المبارك. ومن أهم العادات والتقاليد الرمضانية:

- **المسحراتي:** وهو رجل يتطوّع خلال شهر رمضان لإيقاظ سكّان الحي النائمين قبل أذان الفجر بقليل لتناول طعام السحور، وذلك من خلال قرع الطبلّة ومناداة أسماء بعض أسماء أبناء الحي، وتلك العادة القديمة لا زالت موجودة إلى يومنا هذا.

(Palestinian Cuisine: Net)

- **الإفطار الجماعي للأسرة:** اعتاد الآباء والأبناء والأحفاد في فلسطين على تناول طعام الإفطار في منزل الأب أو أحد الأبناء بشكل دوري، كما اعتادوا على دعوة الأقارب والأرحام والأصدقاء مرة على الأقل لمشاركتهم وجبة الإفطار، الأمر الذي يزيد من اللحمة، وقوة النسيج الأسري والاجتماعي.

- **الإكثار من الصدقات:** اعتاد الفلسطينيون على الإكثار من الصدقات والإحسان، وإرسال الطعام إلى الجيران والأصدقاء والأسر المحتاجة؛ فقبل موعد أذان المغرب تبدأ الصحون تنتقل بين المنازل. (عادات وتقاليد فلسطينية: نت)

ثانياً: الفلكلور

يشكل الفولكلور الفلسطيني الهيئة التي تعبر عن الثقافة الفلسطينية، بما فيها: الحكايات، الموسيقى، الرقص، الأساطير، التاريخ الشفوي، الأمثال، النكت، المعتقدات الشعبية، والعادات والتقاليد. والفولكلور الفلسطيني له جذور ثقافية ما قبل الإسلام، حيث تم إعادة بناء الهوية الفلسطينية مع التركيز على الثقافة الكنعانية القديمة. وتشكل الدبكة المعلم الرئيسي من معالم فن الرقص الجماعي التقليدي في فلسطين وسوريا ولبنان بشكل عام، والذي يمتد جذوره إلى زمن الكنعانيين والفينيقيين للاحتفال في أيام الأعياد. وقد أكد المطرب اللبناني المشهور الراحل ملحم بركات في تصريح له مع إحدى الفضائيات: بأن لبنان لم يكن لديه شيء من الفلكلور، وأن الفلكلور اللبناني جاء من فلسطين، ثم انتقل إلى سوريا مثل: "الدلعونة" و"أبو الزلف" و"الدبكة". (الفلكلور اللبناني جاء من فلسطين: نت)

ويحرص الفلسطينيون على توريث فولكلورهم وتراثهم الشعبي من جيل إلى آخر خوفاً عليه من الطمس والضياع، وحفاظاً على هويتهم من الاندثار. وتعتبر الدبكة الشعبية إحدى أهم صور هذا التراث الذي يستند إلى إرث فني وثقافي يمتد زمنياً طويلاً عبر التاريخ، تشتبك الأيدي خلال أدائها كدليل على الوحدة والتضامن، وتضرب الأرجل بالأرض دلالة على العنفوان والرجولة، ترافقها أغاني تعبر عن عمق الانتماء للأرض الفلسطينية التي يحبها هؤلاء، وفيها الترحيب بالعائد من السفر، وفيها مداعبة الطفل، وذكرى الحبيب، وذكر أوصافه وجماله وخصاله، وفيها الفخر والحماسة.

ورغم غزو ثقافات مختلفة وفنون مختلفة، إقليمية ودولية للثقافة الفلسطينية، بما في ذلك محاولات الاحتلال الإسرائيلي طمس الهوية الفلسطينية بكل تعبيراتها، إلا أن الدبكة حافظت على استمراريتها وحضورها في كل المناسبات؛ فيكاد لا يخلو عرس فلسطيني منها، وغالباً ما يبادر الشبان الذين يجيدون أدائها، للمشاركة في هذا النوع من الفن خلال المهرجانات والمناسبات الوطنية والاحتفالات الخاصة. وكانت الدبكة قبل الاحتلال تأخذ طابع المناسبات، وبعد نكبة عام ١٩٤٨ أصبحت الدبكة شكلاً من أشكال النضال الوطني، وهو ما جعل الدبكة الشعبية تأخذ شكلاً منظماً خاصة منذ بداية الثمانينيات من القرن العشرين، وأصبح العمل على هذا النوع من التراث يتم بشكل منسق، بهدف نقل تراث وحضارة الشعب الفلسطيني للمحافل الدولية. والدبكة رقصة فلكلورية تُمارس عادةً في الأعراس الفلسطينية، وتتكوّن فرقة الدبكة من مجموعة لا تقل عن عشرة دبكة وعازف اليرغول أو الشبابة والطبل. (الفلكلور والتراث الشعبي الفلسطيني: نت)

ثالثاً: الأزياء والتطريز

غالبًا ما علّق المسافرون الأجانب إلى فلسطين في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين على التنوع الغني للأزياء بين الشعب الفلسطيني، ولا سيّما بين النساء الفلاحات أو النساء القرويات. وحتى الأربعينيات من القرن العشرين كانت معظم النساء الفلسطينيات قد تحلّلت كل حسب مكانتها الاقتصادية، سواء أكانت متزوجة أو عزباء، والمدينة أو المنطقة التي تنتمي إليها من نوع القماش والألوان والقطع وزخارف التطريز أو عدم وجودها، فاستخدمت رداءً يشبه الفستان أو "الثوب" باللغة العربية. ويشتهر المجتمع الفلسطيني بفن تطريز الأزياء التقليدية، لا سيّما الثوب الفلاحي النسائي المطرز في الريف الفلسطيني. وتمتاز كل مدينة فلسطينية عن الأخرى بنوع التطريز الخاص بها، مثل: بيت لحم والقدس ويافا والمجدل وغزة ... الخ.

(Grutz, January/February 1991)

ولقد شهد تأسيس دولة (إسرائيل) في عام ١٩٤٨، تحولاً اجتماعياً واقتصادياً وسياسياً جذرياً في المنطقة. لقد تمّ تدمير العديد من القرى الفلسطينية أو هجرها أو تمّ احتلالها، ولجأ اللاجئون إلى الدول العربية المجاورة وإلى الضفة الغربية وقطاع غزة. وتعلّلت الحياة لكثير من الفلسطينيين، وتأثّرت العديد من جوانب مجتمعهم وثقافتهم، كما تأثّرت أنماط اللباس التقليدية وفن التطريز. وبالنسبة للعديد من النساء فلم يعد بإمكانهن تحمّل الوقت أو المال لتطريز الملابس المعقدة. (Saca, 2006)

وفيما يخص زي الرجال: فكان الزي حسب المهنة التي يعمل بها الشخص، فبعض المهن مثل: المراكبي في يافا كان له زيه الفريد، كما تمّ استخدام سائقو الخيول أو البغال "المكارية"، على نطاقٍ واسع بين المدن في عصر ما قبل الطرق المرصوفة، وكانوا يرتدون سترة مطرزة قصيرة مع فتحة طويلة مفتوحة من الداخل، وأحذية حمراء، وغطاء صوف أصفر صغير مع عمامة ضيقة. (Palestinian costumes: Net)

وينتألف طقم الرجال الفلسطينيين التقليدي من قميص، ومعطف (قمباز)، وثمة آخرين يضعون عباءة على الكتف، كما ويلبسون سراويل فضفاضة، ويضعون حزاماً في منتصف الجسم ولم تكن ملابس الرجال مفصّلة مثل ملابس النساء. وكان زي الرجال يعبر عن عمر وحالة وهوية من يرتديها. وكانت الملابس مصنوعة من القطن أو الصوف الناعم، وعادة ما يكون لونها أبيض أو كريمي غير مصبوغ، أما الطول يختلف بين الركبة والكاحل اعتماداً على المنطقة، كما أنّ طول الكم كان متنوعاً، فبعض الأكمام كانت طويلة ومدببة، بينما كانت بعض الأكمام الأخرى طويلة وضيقة. وتعكس بعض التجمعات القروية أنّ الرجال كانوا يرتدون بفخر، ألوان قريتهم في الاحتفالات العامة أو المهرجانات. (Saca, 2006)

رابعاً: المطبخ الفلسطيني

يعتبر المطبخ الفلسطيني أحد المطابخ الشرقية عمومًا والشامية على وجه الخصوص، ويكاد يشابه المطابخ اللبنانية والأردنية والسورية. وقد تأثّر الأكل والطعام الفلسطيني بالحضارات والأمم التي تعاقبت عليها، فأدّى التنوع الحضاري إلى إثراء الطعام وطرق طبخه وتقديمه وتناوله.

ويقوم الأكل الفلسطيني على استخدام عدة مقومات، مثل: اللحم والتوابل والبهارات والأرز والألبان والبرغل، بالإضافة إلى الخضراوات والمكسرات، والخبز، وغيرها من المكونات الأخرى حسب كل أكلة. (أشهر الأكلات الفلسطينية: نت)

وتُعدّ (المقلوبة) من أكثر المأكولات التي يشتهر بها المطبخ الفلسطيني، وتتكون من الأرز والبصل والثوم والطماطم والبهارات وقطع البطاطس المقطّعة أو قطع الباذنجان، وملعقة صغيرة من الملح، والفلفل الأسود، ثمّ يُضاف إلى هذا الخليط اللحم المسلوّق أو الدجاج المسلوّق وتُطهى جميع تلك المكونات في قدر على الغاز. وبعد الانتهاء من عملية الطهي يتم وضع طبق التقديم الرئيسي على فتحة القدر، ثمّ يتم قلبها عليه؛ ولذلك سُميت (مقلوبة)، وكانت تُسمّى قديماً الباذنجانية. والمطبخ الفلسطيني يعتبر أحد المطابخ الشرقية المشهورة في منطقة الشرق الأوسط، ويتشابه إلى حدّ كبير مع فن الطبخ في سوريا ولبنان.

وهناك أكلات هي فلسطينية الأصل، ولكن البعض لا يعلم ذلك، مثل: "الكُنافة النابلسية"، وهي من الأكلات الفلسطينية بامتياز وتعتبر من أشهر الحلويات في مدينة نابلس الفلسطينية، كما أنّ الموطن الأصلي للكُنافة الناعمة هي مدينة نابلس أيضاً؛ لذلك اقترن اسم الكُنافة باسم مدينة نابلس منذ القدم. و"الكلاج"، وهي أيضاً أكلة فلسطينية وتُعتبر من أشهر الحلويات النابلسية في مدينة نابلس. و"الفلافل"، وهي أكلة فلسطينية بالأصل، وأصل الفلافل من مدينة عكا الفلسطينية، ويجدر الذكر أنّ مدينة عكا كانت تسمى منذ القدم "أم الفلافل". و"السُمّاقيّة"، وهي أكلة يشتهر بها سكّان مدينة غزة بالتحديد، وتتكوّن من السّمّاق الممزوج بالماء وتؤخذ عصارته، ويخلط مع الطحينة، ثمّ يضاف إلى قطع اللحم البقري المطهي، والحمص.

خامساً: القصص التراثية للكبار والأطفال

تُستهلّ رواية القصص التقليدية بين الفلسطينيين بدعوة مسبقة من الراوي للمستمعين بذكر الله والنبى محمد أو السيدة مريم العذراء حسب الحالة، ويكون الافتتاح التقليدي للقصّة دائماً بعبارة: "كان يا ما كان، في قديم الزمن...". وتشترك العناصر المنهجية للقصص الفلسطينية في الكثير من القواسم المشتركة مع العالم العربي، على الرغم من أنّ خطة الإيقاع متميّزة. فهناك مجموعة من الشخصيات الخارقة للطبيعة، مثل: الجن الذين يستطيعون عبور البحار السبعة في لحظة، والعماق المارد، والغيلان (جمع غول) ذات العيون الحمراء المتوهّجة، وأسنان من النحاس الأصفر. (Culture of Palestine: Net)

انتشرت في فلسطين عبر العصور ظاهرة القصص الشعبية التي تُروى لكبار السن وللأطفال أيضاً، وهي تعبّر عن مكونات الشعب الفلسطيني التراثية والتي انتقلت بعضها إلى الدول العربية المجاورة لفلسطين، ممّا يدل على قيمة هذه القصص وتأثيرها النفسي على من تلقّاها. ومن هذه القصص الشعبية نجد صورة البطل في حكاية "الشاطر محمد" وقد حقّق ما أراد، بجمعه بين الشجاعة والاستفادة من الجهود الخارقة لابنة ملك الجان المتخفية في شكل أفعى. و"الشاطر محمد" نموذج للبطل الذي يشق طريق الصعاب بجرأة وقدرة خارقة وقد بدأ حياته ابناً للمرأة التي هجرها زوجها لأنها لم تتجب غير طفل واحد،

وبعد أن يسافر البطل فترة طويلة يقضي فيها على الأفعى ذات الرؤوس السبعة، والغول الذي يحاول افتراس فتاة تدعى "عليا"، يعود لأهله ومعه العروس. وهنا: يتنبه أبوه شيخاً ويحتفل به احتفالاً كبيراً، وهنا: نلاحظ التجارب التي تمر على البطل والتي تثبت فيها أنه أهل للزواج وللزعامة.

ونرى "الشاطر محمد" وقد عاد للمغامرة بصحبة أخوة من أم أخرى، ويغدر أولئك الأخوة به فيقطعوا رجليه ويتركوه، ولكنه وبسبب خدمة بسيطة أداها لأفعى يستعيد رجليه ويعود إلى أهله بعروسٍ أخرى حصل عليها بشجاعة. (الفلكلور والتراث الشعبي الفلسطيني: نت)

وهناك قصة (يا حلالي ويا مالي)، وهي من القصص التي يستمتع الأطفال بها عند الاستماع لها. والهدف من وراء سرد هذه القصة الشعبية تثقيف الأطفال وتنبيههم إلى خطورة ظاهرة النُخل، لما لها من أضرار بالغة على حياة الإنسان.

كان في قرية فلسطينية رجل يعيش في قصر فخم مع حاشيته حياة رغيدة سعيدة، ويملك من المال والماشية والأراضي الكثير

يعيش في قصرٍ منعزلاً عن الناس، ولا يأبه بهم ولا يلتفت لأحوالهم السيئة
وكان الناس في هذه القرية يعتاشون على الزراعة وتربية المواشي

وفي إحدى السنوات ابتلى الله هذه البلاد بقلّة الأمطار، فجفت الآبار، وبيس الزرع، واختلف الحال، وتغيّرت الأحوال، وتحوّلت البساتين من خضراء يانعة إلى جرداء يابسة

وجاع الناس، وانتشرت الأمراض، ونفذت المؤن والطعام لدى غالبية الناس حتى باتوا في أسوأ حال
وذهب الناس إلى قصر ذلك الغني يستعطفونه أن يشفق لحالهم، ويعطيهم ولو قليل مما فتح الله عليه من الرزق،
وما يملك من الطعام والثروة

ولكنه لم يلتفت إليهم ولم يرأف بهم، وازداد وضع الناس سوءاً حتى وصلوا حافة الموت

وذات يوم خرج الغني البخيل مع بعض حاشيته يتفقد حاله (ماشيته) بين حقول القرية وأوديتها

وفي هذه الأثناء أتفق عليه بعض الشبان وتربصوا له، وأمسكوا به مع رعاته وحاشيته، وقيدوه ورموه في
أسفل الوادي عند أحد عيون الماء في القرية، وأخذوا كل حاله وأغنامه

ووزّعوها على جميع سكان القرية، ثم ذهبوا إلى قصره، واستولوا على ما فيه من طعام وثروة ومال،
وقسموها بين الفقراء والمحتاجين

وحدث أن جاءت قافلة تجارية وتوقفت بجانب عين القرية للراحة، ووجدوا الغني البخيل مع حاشيته وورعته وفكوا قيودهم

وعلى الفور توجه البخيل ليرى ما حلَّ بحلاله فلم يجد منه شيئاً، فأخذ يضرب كفاً بكف، ويقول: (يا حلالى)، والحاشية يرددون خلفه ويضربون بالكف: (يا حلالى) حتى وصلوا إلى القصر

وإذ بالخدم يبشرونهم البشرى الأسوأ بأن المال قد ذهب أيضاً، فقال البخيل: (يا مالي)، والخدم يرددون من بعده

ثم قال: (يا حلالى يا مالي)

ومن يومها ذهبت هذه القصة مثلاً، وأغنية خالدة تُردد في الأعراس الفلسطينية، لتذكّر البخلاء والمستكبرين الذين لا يكثرثون لحال الناس أن مصيرهم سيكون مثل مصير ذاك البخيل، ومن ثمَّ بدأت تنتشر هذه الأغنية في سائر بلاد الشام. (من التراث الفلسطيني.. يا حلالى يا مالي: ٢٠١٣/١١/١)

إنَّ الحكمة من وراء سرد هذه القصة التثقيفية تنبيه المستمع لها بضرورة الابتعاد تماماً عن الخصال السيئة التي يتحلّى بها بعض ذوي الأخلاق غير الحميدة. أي إنَّ الراوي لهذه القصة يريد أن يقول للطفل الصغير: ابتعد عن ظاهرة البخل، لأنها عادة تقلل من قدرك بين الناس. نتعلم منها أن نحترم بعضنا البعض، وأن يصون الثري مشاعر الفقراء ويمنحهم بعض المال عند الحاجة لقضاء حاجاتهم، وأن يعلم الآباء أطفالهم أن يكونوا من السخاء، بحيث يساعدون من هم أقل منهم سخاءً، وألا يتظاهرون بالإنفاق المبالغ فيه أمام الأطفال الفقراء. فالشعب الفلسطيني عبر العصور كريماً ومعطاء بطبيعته، يساعد بعضهم البعض وقت الضيق والشدة، وفي تاريخنا المعاصر وبسبب الحصار الذي يفرضه الاحتلال على أرضه، نجد الفلسطيني العادي الذي لا يمتلك كثيراً من الموارد يقتطع ممّا يملك ليعطيه لجاره المحتاج أو آخرين هم بأمرس الحاجة لقضاء حاجاتهم.

نتائج الدراسة

بعد الانتهاء من الدراسة بالإمكان التوقّف عند بعض النتائج المهمة:

- أن الروح الفلسطينية لم تكن منبئة الصلة عن الثقافة العامة الفلسطينية التي توارثها الفلسطينيون جيلاً بعد جيل، فقد حملت في جنباتها الجينات الأصيلة التي بقيت ملازمة للفلسطينيين، ما أهلتهم للبقاء والاستمرار، والحفاظ على ثقافتهم وهويتهم، رغم ما تعرّض له الشعب الفلسطيني من عذابات ومحن حتى يومنا هذا. وأنَّ الكنعانيين الفلسطينيين كانوا شعباً متحضراً ومسالماً إلى أبعد الحدود، من خلال سماحهم للغرباء الإقامة والاستقرار في بلادهم ما دام هؤلاء يعاملونهم معاملة حسنة.
- أنَّ عظمة الروح الفلسطينية تجلّت باختراع الكنعانيين الفلسطينيين الحروف الأبجدية، إذ يعود الفضل لهم في اختراع اللغة المكتوبة التي تعتمد على الأصوات التي تخرج من الفم، أو ما يُعرف بالحروف الهجائية "الألف بائية" التي أخذتها عنهم الشعوب الأخرى.

وبذلك فإنَّ الإنسانية تدين لسكان فلسطين بالكتابة الهجائية التي أدَّت إلى خلق الحركة الهائلة في نشر الثقافة والمعرفة، من خلال تدوين الأصوات في ثمانٍ وعشرين رمزًا صوتيًا، وهذا يعدُّ أهم إنجاز للروح الفلسطينية.

- أنَّ الأدب الكنعاني الفلسطيني سبق الأدب عند اليونانيين فيما يخص قصيدة "بعل" / "موت"، ومن المحتمل أنَّ تلك القصيدة كانت تُمثَّل كمسرحيةٍ على الساحل السوري قبل أنَّ يفكر اليونانيون بالفن المسرحي بعدة قرون، وهذا ما يعني أنَّ الفلسطينيين كانوا ذواقين للفنون الأدبية قبل غيرهم من الأمم.
- أنَّ عظمة الروح الفلسطينية تمثَّلت في قبول الكنعانيين الفلسطينيين باستقرار الغرباء عنهم في بلادهم، ما يمثِّل قِمة التعايش السلمي في التاريخ القديم، وفي تعميق الروح الفلسطينية أيضًا. وبذلك تكون فلسطين من أسبق دول العالم استقبالا للراغبين الهجرة إليها؛ بل أكثر من ذلك لم يضع سكان فلسطين الأصليون من الكنعانيين أي شروطٍ مجحفة أو عنصرية ضدَّ من رغب الاستقرار فيها، ما دام هؤلاء الوافدون يلتزمون بواجباتهم بعدم تعريض أمن البلد للخطر. وكذلك قبول سكان فلسطين حضارات الآخرين ممن يختلفون عنهم في الثقافة، فالفلسطينيون لم يكونوا عنصريين يرفضون ثقافة غيرهم من الأمم؛ بل تأثروا وتفاعلوا مع هذه الحضارات المتنوعة، كما وأثروا فيها.
- أنَّ الروح الفلسطينية تمثَّلت بوضوح خلال فترة الاحتلال البريطاني لفلسطين وحاليًا من خلال مقاومة الاحتلال الإسرائيلي، بقوة إصرار الشعب الفلسطيني على حماية بلاده ومقدساته، والدفاع عنها، والعمل على تحرير أرضه بالوسائل كافة، وبما كفَلته القوانين الدولية ذات الصلة الصادرة عن هيئة الأمم المتحدة.
- أنَّ الروح الفلسطينية برزت بوضوح من خلال الاهتمام بتدوين الروايات الشفوية الخاصة بتاريخ فلسطين المعاصر، وذلك في محاولةٍ دؤوبةٍ للحفاظ على تراث وثقافة الشعب الفلسطيني من الضياع، خصوصًا وأنَّ هذه الروايات تعتبر مصدرٍ مهم من مصادر التاريخ الفلسطيني، وتعزز الروايات التاريخية الخاصة بالقضية الفلسطينية.
- أنَّ الروح الفلسطينية تتجلى بما حققه الشعب الفلسطيني في التاريخ المعاصر من إنجازاتٍ مهمة، سواء في مجال الشخصيات القيادية والفكرية والسياسية والدينية والفنية والاقتصادية، وما قدَّموه لخدمة القضية الفلسطينية، أو في الدول التي تستضيفهم، كما حقَّق مستوى عالٍ في تلقِّي العلم، وكذلك الأمر في مجال المعالم الثقافية مثل: العادات والتقاليد والفولكلور والأزياء التراثية والتطريز، والمطبخ الفلسطيني، والقصص التراثية.

مراجع الدراسة

أولاً: الكتب المقدسة

- التوراة.
- الإنجيل.

ثانياً: المراجع العربية

- إبراهيم (م.) (١٩٩٠)، *فلسطين من أقدم العصور إلى القرن الرابع قبل الميلاد*، الموسوعة الفلسطينية، القسم الثاني، الدراسات التاريخية، ط١، بيروت.
- أحمد (م. ح.) (١٩٧٧)، *الخلافة والدولة في العصر الأموي*، القاهرة: مكتبة الشباب.
- اشتيه (م.) (٢٠١١)، *موسوعة المصطلحات والمفاهيم الفلسطينية*، عمان: دار الجليل للنشر والدراسات الفلسطينية.
- الجبرتي (ع.) (ب. ت.)، *عجائب الآثار في التراجم والأخبار*، ج٢، القاهرة: مطبعة الأنوار المحمدية.
- حكيم (س.) (١٩٧٠)، *القدس*، ط١، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.
- الحوت (ب.) (١٩٩١)، *فلسطين: التاريخ السياسي من عهد الكنعانيين حتى القرن العشرين* (١٩١٧)، ط١، بيروت: دار الاستقلال للدراسات والنشر.
- الدباغ (م. م.) (١٩٦٥)، *بلادنا فلسطين*، ج١، ط١، القسم الأول، بيروت: منشورات دار الطليعة.
- السنوار (ز.) (٢٠٠٣)، *العمل الفدائي في قطاع غزة من ١٩٦٧-١٩٧٣*، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الإسلامية - غزة، غزة.
- سوسة (أ.) (١٩٧٣)، *العرب واليهود في التاريخ. حقائق تاريخية تظهرها المكتشفات الأثرية*، سلسلة الكتب الحديثة، ط٢، دمشق: العربي للإعلان والنشر والطباعة.
- الصبّاغ (ع.) (2016)، *الروض الزاهر في تاريخ ضاهر*، دراسة وتحقيق: د. أسامة أبو نحل، Noor Publishing، Saarbrücken، Germany.
- الصباغ (م.) (١٩٣٥)، *تاريخ الشيخ ظاهر العمر الزيداني*، تعليق: قسطنطين الباشا المخلصي، حريصا.
- الطبري (أ.) (ب. ت.)، *تاريخ الرسل والملوك (تاريخ الطبري)*، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ج٥، ط٣، القاهرة: دار المعارف.
- علي (ف. ح.) (ب. ت.)، *إسرائيل عبر التاريخ*، ج١، القاهرة: دار النهضة العربية.
- الكردي (ف.) (١٩٧٢)، *عكا بين الماضي والحاضر*، عكا: دار البشير.
- الكيالي (ع.) (١٩٩٠)، *تاريخ فلسطين الحديث*، ط١٠، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

- المبيض (س.) (١٩٨٧)، غزة وقطاعها، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- محمد (ع.) (١٩٨٩)، حضارات فلسطين القديمة من السجل الأثري، ج ١، من أقدم العصور حتى بداية عصر الحديد، الإسكندرية.
- المدلل (و.) (مايو ٢٠٠٥)، موضوعات التاريخ الشفوي وأهميته " في: رياض شاهين (محرر)، محاضرات في منهجية التاريخ الشفوي وتقنياته، مركز التاريخ الشفوي، ط ١، غزة: كلية الآداب، الجامعة الإسلامية - غزة.
- مهران (م.) (١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م)، بلاد الشام، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.
- أبو نحل (أ.) (١٩٩١)، ظاهر العمر في فلسطين وعلي بك الكبير في مصر: دراسة تاريخية مقارنة، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، القاهرة.
- أبو نحل (أ.) (٢٠٠٧)، الصحابة وأدوارهم على أرض فلسطين، ط ١، دمشق: مؤسسة فلسطين للثقافة.
- أبو نحل (أ.)؛ مخيمر (ع.) (٢٠١٦)، تاريخ فلسطين القديم بين روايات العهد القديم والدراسات الحديثة، Germany، Noor publishing.

ثالثاً: المراجع المترجمة

- جارودي (ر.) (١٩٨٦)، فلسطين أرض الرسالات الإلهية، ترجمة: د. عبد الصبور شاهين، القاهرة: مكتبة دار التراث.
- حنّي (ف.) (١٩٥٨)، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ترجمة: د. جورج حداد؛ عبد الكريم رافق، أشرف على مراجعته وتحريره: د. جبرائيل جبور، ج ١، بيروت: دار الثقافة.
- كونتو (ج.) (١٩٩٧)، الحضارة الفينيقية، ترجمة: د. طه حسين، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة.
- لوكر (إ.) (ب.ت)، الجزائر قاهر نابليون، بيروت.
- أولبريت (و.) (١٩٨٨)، آثار فلسطين، ترجمة: د. زكي إسكندر؛ د. محمد عبد القادر محمد. مراجعة: د. سعاد ماهر، ط ٢، عكا: دار الأسوار.

رابعاً: المواقع الإلكترونية

- "17 فلسطينياً رفعوا اسم وطنهم عالياً في ٢٠١٨.. شاهد قصصهم في سطور"، (٢٠١٩/١/٢)، الموقع
دنيا
<https://www.alwatanvoice.com/arabic/news/2019/01/02/1205558.html>
- "إبراهيم صليح يفوز برئاسة جزر المالديف"، (٢٠١٨/٩/٢٥)، وكالة سوا الإخبارية؛
<https://palsawa.com/post/168536>
- إبراهيم (ب.)، "الجهود السينمائية الفلسطينية قبل ١٩٤٨"، (٢٠١١/٥/٨)، مؤسسة القدس للثقافة والتراث؛
<http://alqudsilana.com/index.php?action=article&id=1426>

- "إبراهيم طوقان"، موقع ويكيبيديا؛
https://ar.wikipedia.org/wiki/إبراهيم_طوقان
- "الإحصاء: ١٣ مليون فلسطيني في العالم، وانخفاض معدلات الخصوبة والدخل في الضفة وغزة"،
(٢٠١٨/١٢/٣١)، وكالة سما الإخبارية؛
<http://samanews.ps/ar/post/360986/-معدلات-وانخفاض-معدلات-الخصوبة-والدخل-في-الضفة-وغزة>
- "إدوارد سعيد"، (٢٠١٠/١٢/٩)، الجزيرة نت؛
<http://www.aljazeera.net/encyclopedia/icons/2010/12/9/إدوارد-سعيد>
- "الأب مانويل.. فلسطيني يقاوم الاحتلال"، (٢٠١٧/٣/١٩)، الجزيرة نت؛
<http://www.aljazeera.net/encyclopedia/icons/2017/3/19/الأب-مانويل-فلسطيني-يقاوم-الاحتلال>
- "أحمد الشقيري"، موقع ويكيبيديا؛
[https://ar.wikipedia.org/wiki/أحمد_الشقيري_\(سياسي_فلسطيني\)](https://ar.wikipedia.org/wiki/أحمد_الشقيري_(سياسي_فلسطيني))
- "الأخطار والاعتداءات التي تعرض لها المسجد الأقصى المبارك منذ احتلاله"، (٢٠٠٧/٨/٢٦)، دار
الولاية للثقافة والإعلام؛ <https://alwelayah.net/post/34378>
- "أسماء الفنانين العرب من أصل فلسطيني"، (٢٠١٠/٧/٢٨)، موقع دنيا الوطن؛
<https://www.alwatanvoice.com/arabic/news/2010/07/28/152124.html>
- "أشهر الأكلات الفلسطينية"، (٢٠١٧/٩/٢٦)، موضوع؛
https://mawdoo3.com/أشهر_الأكلات_الفلسطينية
- "التعليم في فلسطين"، موقع ويكيبيديا؛
https://ar.wikipedia.org/wiki/التعليم_في_فلسطين
- "تقرير إحصائي: ١١,٨ مليون عدد الفلسطينيين في العالم مع نهاية ٢٠١٣"، (٢٠١٣/١٢/٣١)،
وكالة أنباء شينخوا الصينية؛ <http://archive.li/vqeu0#selection-1081.1-1081.65>
- "الحاج أمين الحسيني"، (٢٠٠٤/١٠/٣)، الجزيرة نت؛
<http://www.aljazeera.net/specialfiles/pages/ccb5dd8c-d9a7-4a33-8216-e7f80bd9fc48>
- "الحدود السياسية"، الموسوعة الفلسطينية؛
<https://www.palestinapedia.net/الحدود-السياسية/>
- "رائد صلاح"، موقع ويكيبيديا؛
https://ar.wikipedia.org/wiki/رائد_صلاح
- "رجل أعمال أردني سيبني أطول ناطحة سحاب في أستراليا ونصف الكرة الأرضية الجنوبي بقيمة
١,٨٥ مليار دولار"، وكالة أنباء سرايا الإخبارية؛
<https://www.sarayanews.com/print.php?id=452944>
- رفاعي (م)، "قصة سنو هي قصة واقعية من عصر الفراعنة"؛

<https://www.civgrds.com/snohy-story.html>

- ساتر فيل (ب)، "الميثولوجيا الأوغاريتية"، ترجمة: محمد الطبل، موقع معابر؛

http://www.maaber.org/issue_october14/mythology1.htm

- 'شهادات حياة يرويهها فلسطينيون عاشوا النكبة'، (٢٠١٣/٥/٢١)، عرب ٤٨؛

<https://www.arab48.com/فلسطينيات/النكبة-أخبار-وتقارير/٢٠/٥/٢٠١٣/شهادات-حياة-يرويهها-فلسطينيون-عاشوا-النكبة>

- صلاحات (م)، "عن السينما الفلسطينية ما قبل النكبة"، (٢٠١٧/٥/٢٧)، مجلة رُمان الثقافية؛

<https://www.rommanmag.com/view/posts/postDetails?id=4002>

- "عادات وتقاليد فلسطينية"، وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية (وفا)؛

<http://info.wafa.ps/atemplate.aspx?id=8974>

- عبد السلام (م)، "أرقام رسمية: الفلسطينيون الأكثر تعلماً في العالم العربي"، (٢٠١٥/٢/٢٨)، موقع عربي ٢١؛

<http://arabi21.com/story/813564/أرقام-رسمية-الفلسطينيون-الأكثر-تعلما-في-العالم-العربي>

- "عبد السلام النابلسي"، موقع ويكيبيديا؛

https://ar.wikipedia.org/wiki/عبد_السلام_النابلسي

- "عمر الشريف"، موقع ويكيبيديا؛

https://arz.wikipedia.org/wiki/عمر_الشريف

- "غسان كنفاني"، موقع ويكيبيديا؛

https://ar.wikipedia.org/wiki/غسان_كنفاني

- "الفرعنة"، الموسوعة الفلسطينية؛

<https://www.palestinapedia.net/الفرعنة/>

- 'فلسطين'، الجزيرة نت؛

<http://www.aljazeera.net/encyclopedia/countries/2015/3/14/فلسطين/>

- "فلسطيني يحصد جائزة (مايكروسوفت) العالمية للسنة الخامسة على التوالي"، (٢٠١٩/٨/٤)، موقع دنيا الوطن؛

<https://www.alwatanvoice.com/arabic/news/2019/08/04/1264882.html>

- "الفلسطينيون في تشيلي"، وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية (وفا)؛

<http://info.wafa.ps/atemplate.aspx?id=5233>

- "الفلسطينيون يحكمون أمريكا الجنوبية"، (٢٠١٩/٢/٦)، قناة الغد الفضائية؛

<https://www.alghad.tv/الفلسطينيون-يحكمون-أمريكا-الجنوبية/>

- "الفلكلور والتراث الشعبي الفلسطيني"، مركز المعلومات الوطني الفلسطيني (وفا)؛

http://info.wafa.ps/ar_page.aspx?id=4238

- "الفلكلور اللبناني جاء من فلسطين"؛

https://www.youtube.com/watch?v=K-LWiOT_c1Q&feature=share&fbclid=IwAR2SysTOCjSYhp-geYTdPEe6rJ2jClSUxoYuJM2iolBgmYIkf2myWl6KexI

- **قصيدة موطني للشاعر إبراهيم طوقان**، شبكة الفصحح لعلوم اللغة العربية؛

<http://www.alfaseeh.com/vb/showthread.php?t=47024&p=349785&viewfull=1>

- قلعہ جي (ع.ع)، "بعل وموت"، ۱۳/۱۰/۲۰۱۴؛

<http://jamahir.alwehda.gov.sy/node/391092>

- "الأول مرة .. فلسطيني قاضيًا للقضاة في أمريكا"، (٢٠١٩/٧/٩)، وكالة سما الإخبارية؛

<http://samanews.ps/ar/post/380751/أول-مرة-فلسطيني-قاضيا-للقضاة-في-أمريكا>

- **"الأتينيون من أصل فلسطيني"**، (٢٠١٤/٥/٨)، شبكة فلسطين للحوار؛

<https://www.paldf.net/forum/showthread.php?t=1144920>

- المدهون (ز)، "كلمات مأثورة للشهيد ياسر عرفات"، (٢٠١٧/١١/٩)، الهيئة العامة للإذاعة والتلفزيون؛

<http://www.pbc.ps/News/كلمات-مأثورة-للشهيد-ياسر-عرفات>

- "من التراث الفلسطيني.. يا حلالي يا مالي"، (٢٠١٣/١١/١)، المنتدى التنويري الثقافي الفلسطيني (تنوير)؛ <http://www.tanwer.org/tanwer/?news=2724>

● <https://www.youtube.com/watch?v=Nup27udlueg> : "موطني لإبراهيم طوقان"

- الهور (ع)، "الدولة الفلسطينية والأمم المتحدة وإشكالية إدارة الصراع"، (٢٠١٢/٣/٢٥)، دنيا الوطن؛ www.pulpit.alwatanvoice.com/content/prient/255383

- 'ياسر عرفات'، (٣/١٠/٢٠٠٤)، الجزيرة نت؛

<http://www.aljazeera.net/specialfiles/pages/7b339faf-27c9-471b-8a8e-d4563cdd5e3e>

- "ياسر عرفات: من بندقية الثائر وحتى غصن الزيتون (١٩٢٩-٢٠٠٤)"، (١١/١١/٢٠٠٤)، موقع عرب ٤٨؛

[فلسطينيات/النكبة-مقالات-ودراسات/-/٢٠٠٤/١١/١١/ياسر-عرفات-من-https://www.arab48.com/](https://www.arab48.com/-/فلسطينيات/النكبة-مقالات-ودراسات/-/٢٠٠٤/١١/١١/ياسر-عرفات-من-https://www.arab48.com/)
-بندقية-الثائر-وحتى-غصن-الزيتون-١٩٢٩-٢٠٠٤

- "یوسف بیس"، موقع ویکیپیڈیا؛

https://ar.wikipedia.org/wiki/يوسف_بيدس

خامساً: المواقع الالكترونية باللغة الانكليزية

- "*Arab Bank*"; <https://www.arabbank.jo/smartmenu/smart-menu/about-us-2/our-history>

- *Cambridge Dictionary*; <https://dictionary.cambridge.org/dictionary/english/ethos>
- "Culture of Palestine", Wikipedia Website;
https://en.wikipedia.org/wiki/Culture_of_Palestine
- "Definition of ethos", Collins;
<https://www.collinsdictionary.com/dictionary/english/ethos>
- "Definition of ethos", Merriam-Webster;
<https://www.merriam-webster.com/dictionary/ethos>
- "Edward Said", Wikipedia Website; https://en.wikipedia.org/wiki/Edward_Said
- "Ethos Definition", Literary Devices, Definition and Examples of Literary Terms;
<https://literarydevices.net/ethos/>
- Grutz (J. W.) (Number 1, January/February 1991), "Woven Legacy, Woven Language", *Aramco World*, Vol. 42;
<http://archive.aramcoworld.com/issue/199101/woven.legacy.woven.language.htm>
- "Nayib Bukele", Wikipedia Website;
https://en.wikipedia.org/wiki/Nayib_Bukele
- "Palestinian costumes", Wikipedia Website;
https://en.wikipedia.org/wiki/Palestinian_costumes
- "Palestinian Cuisine", Wikipedia Website;
https://en.wikipedia.org/wiki/Palestinian_cuisine
- "Said Musa", Wikipedia Website; https://en.wikipedia.org/wiki/Said_Musa

سادساً: المراجع الأجنبية

- De Vaux, (R.) (1978), *the Early History of Israel, To the Exodus and Covenant of Sinai*, Trans. by: David Smith, London: Darton, Longman & Todo.
- Moscati (S.) (1960), *Ancient Semitic Civilizations*, New York: Capricorn Books.
- Saca (I.) (2006), *Embroidering Identities: A Century of Palestinian Clothing*, the Oriental Institute Museum of the University of Chicago.
- *Une lettre du consul général français à Acre, le 18/11/1746* (AFF : Et. B¹ 978 = Acre + Seyde).
- Volney, (F.), *Voyage en Syrie et en Egypte*, tome 2, Paris, 1907.

جميع الحقوق محفوظة © 2020 الدكتور أسامة محمد أبو نحل، AJRSP (CC BY NC)